

ايليا حليم حنا

استيقظ.. وعش حياتك كلها

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

ومضى عام آخر من ايامنا على هذه الارض .. وما زلنا نتمنى ان يكون عامنا الجديد احسن كما تمنينا في كل اعوامنا السابقة . ولكن ، هل حققنا كل ما سبق ان تمنيناه ؟ واذا لم نكن قد حققناه فماذا كان السبب؟ كيف يكون هذا العام أسعد من الاعوام التي سبقته اذا كنا نستقبله بنفس افكارنا وبنفس عاداتنا وبنفس المجهود ولم نتخلص مما نعرف انه نقص او ضعف في نفوسنا ؟! ان الحياة تفقد معناها اذا ظلت مجرد آمال لا تتحقق وجهودا لا تثمر .

كل عام في لحظة العبور الى العام الجديد نحسب عمرنا الزمني ... نضيف عاما على عمر اجسادنا ... وعندما نصل الى سن معينة نقول لانفسنا : لقد كبرنا والسن تتقدم بنا .. ترى هل نقف مع انفسنا وقفة موضوعية نسألها في حوار داخلي صريح عن مدى ما وصلنا اليه من نضج في تلك السنين التي عشناها ؟ هل ننظر وراءنا نستعرض اخطاءنا وضعفاتنا وما وقف في سبيل هنائنا وما كان ينقصنا ليجعل حياتنا اوفر واسعد ؟ يقول فيلسوف عصرنا الحديث «برتراند رسل» في كتابه « كيف نغزو السعادة » : اعتقد ان كثيرا من الشقاء راجع الى حد كبير الى وجهات نظر خاطئة عن الدنيا ،وعن الحياة ، والى اخطاء في التصور الاخلاقي ، وفي الذوق ، وفي عادات المعيشة مما يؤدي الى القضاء على السرور الطبيعي ... ويمكن ان يسعد الانسان بتعديلات يسيرة في طريقة المعيشة .

لكي يكون عامنا الجديد افضل من اعوامنا السابقة يجب ان نجلس الى نفوسنا نتأملها بصراحة وصدق ونفحص اعماقنا واخلاقنا وسلوكنا واتجاهاتنا ثم نضع الخطط والافكار لحياة افضل وعمل اكثر اتقانا ، كما نعمل على التخلص من معوقات نعرف تماما انها كانت حائلا دون تحقيق ذاتنا الفضلى . لقد تعلمنا الكثير وازدادت خبراتنا ولا بد ان نفيد منها ونتلافى كل خطأ وقعنا فيه من قبل ، ثم نضع برنامجنا المحدود الواضح نسير بمقتضاه ونأخذ انفسنا بالحزم للعمل به .

لم نغمض عيوننا ونغلق عقولنا عما يستحق ان نحيا من اجله وبه وقد دلتنا تجاربنا وصراعاتنا اننا لن نسعد في حياتنا من غير ان تكون هذه الحياة انسانية الطابع بشرية الافق ؟! لم لا نقف موقفا سليما من مشاكل الحياة الحقيقية ونغوص الى الجوهر تاركين السطح الذي لا تتضح فيه الرؤيا ؟ لم نتشبث باسلوب حياتنا ونحن نعرف انه خاطىء ، واننا نسعد لو اننا عدلناه ؟! لم نهمل صوت قلوبنا ونركب رؤوسنا وننغمس في انانيتنا ونستعبد انفسنا لضعفاتنا وعاداتنا المعوقة وافكارنا الجامدة ؟ لم لا نفيد بتجاربنا وخبراتنا في السنين التي عشناها ؟

ان اكثرنا يعيش على هامش الحياة يشكو السأم والملل ولا تراه الا وهو يضج بحياته ... والسبب في هذا الضيق انه يرى الحياة في معناها الضيق .. انه يعتقد ان افضل ما في الحياة هو النجاح المادي فقط ... وهذا هو سر تعاسة الناس وقلقهم في عصرنا المادي هذا ... اننا عندما نوجه كل طاقاتنا ونشاطنا وتفكيرنا لا لشيء غير النجاح المادي نصبح عبيدا للمادة نتصارع صراع الوحوش في الغابة على الفريسة ونعمى عن كل ما حولنا من جمال ، وتموت فينا معظم الصفات الانسانية ... كثير من الناس يشقون ويرون الحياة عبئا ثقيلا بالرغم من ثرائهم ، لان كل هدف حياتهم ان يكون لهم وفرة في المال وبذلك يخسرون انفسهم وماذا يربح الانسان لو كسب العالم كله وخسر نفسه ؟ ويحضرني هنا ما قاله « برتراند رسل » : اذا سألت واحدا من رجال الاعمال ، ما الذي ينغص عليك بالاكثر بهجة الحياة ؟ لاجابك : صراع الحياة ... ! سل رجل الاعمال هذا الذي يتشدق بصراع الحياة ، كم رجلا من اهل طبقتك مات جوعا ؟!

ان النجاح المادي عامل واحد من عوامل السعادة ولكننا ندفع في هذا العامل الواحد ثمنا باهظا جدا ... ندفع كل حياتنا وسلام انفسنا ومتعتنا ويصبح لا جدوى من كل جهدنا لاننا نوجد في هذه الدنيا نصارع ولا نعيش .

لا بد من المراجعة الواعية للتأكد من صحة المسار

الذي ندفع بحياتنا فيه ... اننا نشقى ونحن نعايش ضعفنا ونقصنا ولا نتخلص منه .. اننا لا نعيش حياتنا كلها ، اذا وجهنا كل اهتماماتنا الى الناحية المادية فقط ، غافلين نمونا العقلي والوجداني الذي بدونه نفقد الغبطة الداخلية ونفتقر الى المرح الروحي ...

جمال الحياة ان ننمو ونعيش في عمقها وعندئذ نكتشف فيها آفاقا وابعادا جديدة ، نكتشف كل يوم ما يشع في النفس البهجة والجمال ... الحياة حسب خبرتي تافهة وضياع قاتل ان لم تكن نموا مستمرا وخلقا وابتكارا واضافة وبغير هذا يصبح لا فارق بين الانسان والجماد الذي لا ينمو وتدب فيه كل عوامل النقص والفناء !

ليس العمر الجسدي هو كل رصيدنا في الحياة .. وليست المادة وحدها هي عامل السعادة الوحيد في الحياة! ليست هذه السنوات التي نعيشها على هذه الارض الا وعاء .. نعم وعاء .. نملؤه نحن بالخير بالمحبة بالتعاون بالتفاهم ، بالرضا النفسي الغامر .. عمرنا الزمني هو وعاء الحياة ، ولكنه ليس الحياة نفسها ، وليس وحده المادة التي تصنع منها الحياة ، هذا العمر الزمني يتحول الى شقاء .. الى ضياع ان لم نملأه خيرا وجمالا وسلاما ومحبة .. ان لم ينم العقل والوجدان والروح ... ان السنين التي نعيشها على الارض اعطيت لنا ليبني فيها الانسان نفسه ويسمو بها ويشيد عالما جميلا يستمتع بالحياة فيه ... لقد خلقنا لابعاد اوسع مدى من الحدود الجسدية ... خلقت فينا الغرائز لتحافظ على بقائنا وليس لنعيش بها ، ويشترك الحيوان معنا في هذه الغرائز ونحن نفقد انسانيتنا عندما ننساق لطبائعنا البدائية كما ينساق الحيوان دون القدرة على التعديل والتبديل ، والانسان يمتاز على غيره من المخلوقات بالوعي وبمقدار ما يفيد من تجاربه وما يستخلصه في النهاية من نتائج يسترشد بها في تنمية وترقية حياته الى اعلى .

ما قيمة هذه الحياة ان كانت كلها اعواما تمضي بنا الى الشيخوخة والعجز الجسدي ومع هذا العجز عجز عقلي وجداني روحي ؟ اي خير في مثل هذه الحياة التي نحسبها بالسنين ونقيمها بالمال ولا نحسبها بنضج عقولنا ورقي وجداننا ؟ ما قيمة الحياة ان كانت كيانا جسديا خاويا يمضي بنا الى الفناء بعد ان عشناها في ظلمة وفراغ نفسي ولم تكن اكثر من يوم رتيب ممل تفرغه الشمس اضواء وظلاما على اجسادنا بينما ارواحنا وعقولنا خاوية قلقة مضطربة تجري الى لا شيء ؟!

ضياع الا يعرف الانسان لنفسه ذاتية خاصة ... وسعيد بعيد عن القلق والملل من يجعل اهتمامه الاول حياة مليئة نامية ناضجة ... يسعد وهو يعيش لهذا الغرض العظيم ويستمتع بايامه وهو يتجدد وينمو ويكتشف آفاقا جديدة فتتسع آفاق شخصيته ويتملكه الاحساس بالسكينة والسلام والابتهاج الكامل روحا وجسدا لانه كل يوم يتجدد وينمو ويعيش وهو يواجه الحياة بنضج يجعله اقدر على تحملها والاستمتاع بها .

واسعد انسان على الارض انسان يرى لحياته قيمة ويراها متجددة غير جامدة او رتيبة تسير نحو هدف عظيم تصنع كمالها بنفسها . بدون نضج نجابه الحياة بما ركب فينا من معطيات غريزية ... بدون نمو ورقي عقلي وجداني نعيش حياتنا كأطفال كبار تسيطر عليهم الانانية وتحركهم ، ونطلب الحياة بكل ما فيها لنا ولنا وحدنا فيسيطر علينا ونحن نتصارع من اجل هذا، الخوف والوحدة والقلق والارق والاضطراب ، وهذه لا تفقدنا فقط السلام الذي نحتاج اليه لنعمل ونخلق ، والصفاء الذي به نفكر ونبتكر ، بل تؤثر تأثيرا سيئا في اجسامنا . والمعروف ان كثيرا من الامراض الجسدية مرجعها امراض النفس ... ان نضج العاطفة واتزانها من اهم العوامل للصحة النفسية السليمة والصحة الجسدية ايضا ... والانسان الناقص عقليا وعاطفيا يعيش في اغوار نفسه السحيقة ، يعربد في غابتها البدائية الموحشة ، باطنه صحراء جرداء ، فيها اعاصير قاتلة ووحشة ومخاوف وعطش مميت وجوع قاتل وهوام وشمس محرقة وليل بارد مرعب مخيف .

والانسان الناضج الذي يرتقي بعقله ووجدانه يجابه الحياة في مستوى النضج والاكتمال ، تقل قابليته للتهيج الانفعالي ويتقبل الامور في هدوء لانه يراها على ضوء الواقعية ومن ثم تزيد قدرته على السيطرة على مواقف الحياة سيطرة فعلية عن طريق التفكير والعمل .. وسر الحياة السعيدة هو القدرة على احتمالها بنضج وادراك وشفافية ووعي واستمتاع ... ولنا في الشاعر الاديب الالماني « جوته » خير مثال للانسان الذي كانت تملأ جوانحه ارادة الترقي ، فعاش واهتمامه الاول هو ان يرقي وجدانه وينمي عقله ويستمتع بحياته فجعل منها شيئا فنيا ممتازا ممتعا رائعا .. والناس حتى الان تعجب بحياة « جيته » بقدر ما تعجب بانتاجه الذي كان صدى رقيه العقلي والوجداني وحياته التي عاشها كلها في العمق وكان يحاسب نفسه على درجات رقيه وبناء شخصيته يوما بعد يوم .. وقال في ذلك « يجب ان نجدد شبابنا على الدوام والا تعفنا » . ولهذا كان « جيته » شخصية ممتازة تحدث عنها رجال الفكر والادب اكثر مما تحدثوا عن انتاجها ويتمثل هذا الاعجاب العظيم بتلك الشخصية الناضجة النامية المتطورة في قول « براندس » الاديب الدانمركي « ان حضارة الامم تقاس بمقدار تقديرها لجيته » .

في اعماقنا الكثير مما يجعل الحياة جديرة بأن تعاش . لقد خلقنا وفينا طاقات جبارة وميول طيبة ومواهب خالقة ... وهذا الكنز العظيم يخفيه عن عيوننا الانصياع للغرائز وعدم التحكم فيها بسبب انانيتنا وضحالة عقولنا والجري وراء اهواء باطلة طارحين خلف ظهورنا كل

ما يدربنا على الحياة الناضجة الواعية السامية ، مغمضين عيوننا عن الثقافات الانسانية والرسالات السماويـة ولا نسترشد بنتائج خبراتنا وتجاربنا .

وكنوز النفس المخبوءة في اعماقنا وامكانياتها الخالقة الجبارة لا يمكن ان نصل اليها الا بما ينضج عقولنا ويرقى بوجداننا .. اقصد لا يمكن بدون الثقافة الحية والايمـان العميـق .

والثقافة التي تنمي وتطور وترقي ليست معلومـات وآراء وفلسفات نتشدق بها دون ان يكون لها فعلها القوي في حياتنا .. الثقافة الحقة هي الانسان كيفا لا كما ... انها نضج ونمو وتفتح ذهني ووجداني يجعلنا اكثر حيوية ويقظة ، تساعدنا على تكوين عادات النضج والتفوق فـي مراحل حياتنا المختلفة ، تزيل الغشاوة عن عيوننا فنتحرر مما حببه لنا الظلام وتوقظ عقولنا فنمزق الغشاء الـذي نسجه تفكيرنا القديم ، وتشفى آذاننا من الصمم فنسمع وقع الحياة الجميل ، انها تقودنا الى حياة ارحب وافضل وتكشف لنا عن عوالم جديدة وراء التجارب المختلفةوتجعلنا نستكشف خفايا انفسنا فنحسنها وامكانياتنا فننميهـا ونفيـد بها .

تقاس جدوى الثقافةبتأثيرها الطيب على الشخصية، فان لم يكن لها هذا التأثير فهي هراء ... الثقافةالحقيقية تؤثر في العقول والقلوب وتستقر فيهما ، وتعمل فيهمـا عمل الخميرة في العجين ، تثور داخل الجماجم وتفـك القيود التي تستعبدنا وتحررنا منها وتعطينا الطاقة علـى اقتلاع كل ما يفسد علينا سلام نفوسنا ، وتعطينا التصور الحقيقي للاهداف التي ينبغي الوصول اليها ، وتسبغ علينا مظاهر الخلق التي تتسق مع ذاتنا المثالية كمـا تمدنـا باحسـن الطـرق لمـواجهة مشاكلنا وعلاجها وبقـوة الادراك عندما تجابهنا الحاجة لاختيار حقيقي . تغيـر اتجاهاتنا الفكرية والعاطفية بما يتناسب والصحة النفسية والكمال الروحي ... تمنحنا الكثير الذي نعرف به انفسنا وامكانياتها فلا نقف بحياتنا عند حد ... تتجه بنا دائمـا نحـو تحقيق هدف واضح نعيش من اجله فتجعل حياتنا مليئة متجددة ممتعة لها مذاق محبوب على المدى الطويل دون ان يعترينا ملل او قلق او جمود او يأس ... انهـا عملية نمو وتحول مستمرين ، يحقق بها الانسان التكويـن النفسي السليم بتعديل او ازالة خصائص قديمة وهـي تعيد تكوين الانسان عقليا ووجدانيا ولا تجعله اسيـرا لعاداته المعوقة .

واذا كانت الثقافة هي الحديقة التي تمدنا بالثمـار الشهية التي يطيب لنا تذوقها وهضمها لتتحول الى دمـاء تسري في عروقنا تغذي قلوبنا وعقولنا فان الايمان هـو الباب الذي نمر خلاله الى الذات الفضلى .. انه الحارس والمنظم الذي يجعل نعمة الله رفيقة حياتنا وهو النار التي تصهر ما بداخلنا من بقايا لم تقو الثقافة على محوهـا ، وتطهرنا من ادران الحيوان الجاثم في اعماقنا .. والايمـان الحق ليس امورا مظهرية ، انه هو ما قال عنه سـقراط « تكريم الضمير النقي للعدالة الالهية لا تقديم القـرابين وتلاوة الصلوات مع تلطخ النفس بالاثم » ويقول « الدكتور هنري لنك » الطبيب النفساني الكبير وصاحب كتـاب « العودة الى الايمان » عن الايمان الواعي « اذا اتحد العقل مع الدين وامتزج به كان عقلا قويا جبارا » .

وامتزاج الثقافة الحقة بالايمان القوي العميق يخلـق منا مناضلين حقيقيين فلا نعيش فقط من اجل القيـم الثقافية المجردة بل نطبق هذه القيم ونلتزم بها في حياتنـا وفي كل تصرفاتنا ، ونناضل بصدق ، وعزيمة مؤمنـة ، لتثبيت هذه القيم والاسهام عمليا في تشييد عالم اجمـل وافضل تسوده المحبة الخالصة المحيية التي تتجمع فيهـا كل قيم حياتنا الطيبة المثمرة ... تلك القوة الدافعـة المحركة التي تذلل العقبات وتتخطى الحوائل ، وتشـق الطرق المعبدة السهلة في بطاح الحياة الوعرة ، تجيـز التضحية ، وتذيب الانانية وتنير جنبات النفس ، وتسمو بنا الى علو لا نستطيع الصعود اليه الا بها . تخلق مـن ضعفنا قوة وتجعل كل ما هو صعب محتملا وسهلا مهمـا كانت درجة صعوبته .. بها يخرج الانسان من ذاته الضيقة الى الذات الانسانية الواسعة انها قوة دافعة للخير ، للحق، للجمال ، للكمال ، للسعادة . من المستحيل الا تحب وتكون سعيدا ... المحبة هي الشعاع الالهي الذي يضيء لـك حياتك جنات وتملأ اعماقك راحة وطمأنينة فتشعر بروحك ترقص وتصفق وتغني . انه من المستحيل ان تكره وتكون سعيدا .. فكر كيف تقبل على دنياك وانت تحب .. كيف تقبل على عملك ، على الناس ، على الحياة ، على كل ما هو خير وجميل .. انها القوة التي تعينك ـ وانت في منتهـى السعادة ـ على حمل قسطك من عبء الانسـان نحـو انسانيته .

هذه المحبة القوية الدافعة هي نتاج الثقافة الحقـة والايمـان العميق بالحياة والانسان ... وما ان تتزاوج الثقافة الحية بالايمان العميق حتى تصبح قوة جبارةتحول البشر الى ما يحلم به علماء التطور والنشوء والارتقاء ، وهو الانسان الراقي المتفوق (السوبرمان) الذي يقول عنـه هؤلاء العلماء انه ارقى ما يمكن ان تصل اليه الانسانية في قمة التطور ، وهم ينتظرون مئات الملايين من السنيـن ليصلوا اليه ، بينما في الامكان ان يجعل كل منا من نفسه ـ في فترة العمر التي يعيشها ـ انسانا متفوقا ممتازا اذا عمل على انضاج وابراز كنوز نفسه المخبوءة بالثقافة الحية الفعالة والايمان الواعي العميق الذي يصهر ادران النفس ويبرز الجوهر الانساني الاصيل .

وانساننا الممتاز هذا هو الانسان كما اراده اللـه ، يعيش حياة سامية جميلة يرى له فيها غاية ككل الرجال ذوي المواهب العظيمة التي انضجها الايمان القوي العميق

لحظات حميمة

ماعهـدت الطيـر تمضي — دون وعـد بالرجـوع
دائما في كل فصل — طائـر ياتي الربـوع
يـزرع الشطآن بـالاحلام يومـا والدمـوع
وبعـرف الند طـورا — او باضـواء الشمـوع

في العشيـات صديقي — تـزحم الصـدر خواطر
واحاديـث اصطفاهـا — السمع من تلميح عابـر
تنضـج الاحـزان فينا — ويصيـر القلب طائـر
ويصيـر الوجـد دمعا — في حنايانا مسافـر

يا صديقي ما انا ... ما — انت ... ما كل البرايا
ما انكسـارات الجفـون — عندما تـذوي الحكايـا
ما انفـلات الحس حينا — من مـرارات الخطايـا
غيـر حلم وحنيـن — يختفـي بيـن الحنايـا

دمشق — سلافة العامري

برسالة الحياة الانسانية فأضاف كل منهم حجرا في بناء الجهد البشري . ونحن لا نقيس حياة هؤلاء الممتازين الذين اسهموا في الرقي البشري ، بالسنين التي عاشوها بـل بالنضج، بالعمق، بالاتزان ، بالحب بالجمال، بالخير، بالثمرة الطيبة التي قدموها لدنياهم . لقد عاش هـؤلاء الممتازون حياتهم وتركوا بصماتهم الواضحة على حضارتنا .. والانسان الناضج يتطلع دواما الـى ما هو اسمـى وافضل، ينكر ذاته ويضحي بها في سبيل ما يؤمن انه خير، لا شيء يزلزله او يزعزعه ، لديه ابداما يعطيه وانه لسعيد حين يعطي ، رابح حين يهب . ويحدثنا العالم النفسانـي (ريجنالد وايلد) عن مؤشرات النضج في الانسان الراقـي بقولـه : « استبعد البطولة والتضحية ، وخدمة المجموع ، وانكار الذات من التاريخ وقل ماذا يبقى بعد ذلك ؟ ستجد عندئذ انك استبعدت ايضا من صفحات التاريخ اعظم واجل ابناء الجنس البشري » .

قارئي العزيز :

الحياة فرصة يجب علينا ان ننتهزها ... الشمس اذ تبزغ كل صباح تقدم لنا اربعا وعشرين ساعة جديدة ، لا لنعبرها بل لنملأها . املأ عينيك بكل بهيج جميـل ، واملأ عقلك وقلبك بشحنات جديدة كل يوم من اجل نموك واستمرارك في حياة مليئة مفيدة ممتعة ... دع كـل موجة من موجات الحياة تغسل مساحة اكبر من نفسك .. لا تكوم فوق راسك حطام عمرك ... افتح عينيك وقلبك وعقلك على معان اعمق للحياة ... عش حياتك كلها .. حياة النضج والارتقاء .

سئل « غاندي » عن رسالته في الحياة فقـال : « حياتي هي رسالتي » وكلنا نعرف القوى التي تفجرت في اعماق غاندي عندما جعل حياته هي اهتمامـه الاول وتحول بها الى النضج والكمال ، فكان افضل انسان ظهر على الارض في عصرنا الحالي .. انه مثال واقعي حـي للانسان المتطور الراقي الممتاز الذي تخطى كل سنن التطور في سني حياته واصبح هذا (السوبرمان) الذي يحلم بـه العلماء ... وقد قال عنه « اينشتين » :

« ان الاجيال المقبلة سوف يصعب عليها ان تصـدق ان هذا الرجل عاش على الارض بلحمه ودمه . »

اخي القارىء

هذه هي رسالتي اليك في هذا العام ... ارجو لك من قلبي أن تعيش حياتك كلها . تذكر دائما قول«هربرت كاسون » الكاتب الانجليزي العجوز « اعصر برتقالتك حتى آخر قطرة فيها »ّ.

استيقظ وعش حياة ناضجة قوية تملأ جـوانحـك وتنبثق من كامل كيانك وتوفر لك السعادة والمتعة الراقية.

انني لا اجهل الصعاب التي قد تعترض صعودك الى القمم العالية ولكني اهمس في اذنك قائلا : ليس هناك شيء له قيمة يمكن تحقيقه بدون مجهود .

القاهرة — ايليا حليم حنا



الدكتور محمد رجب البيومي

حتيال غريب

قلم الدكتور محمد رجب البيومي
الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

* * *

عرفته زميلا هادىء النفس ، كثير الصمت ، كنا بالقسم الابتدائي بمعهد دمياط نراه طالبا حسن التودد ، باسم الثغر ، لا يستثيره شيء مهما جوبه بما لا يحب ، سريع الاستجابة الى رغبات زملائه ، فهو يبحث متطوعا عن المسكن اللائق ، ويعمل على شراء الضروريات بارخص الاثمان ، وله في ذلك قدرة لا ندري من اين اكتسبها ، مع ما يرى من صمته الطويل ، وهدوئه العازف ، الا انه كان مع ذلك يلاقي من الدراسة العلمية اهوالا صعابا ، حيث لا يكاد يضبط ذهنه في درس ، او يجمع نفسه على تحصيل ، لذلك كان في الايام الاخيرة من العام الدراسي موضع الرحمة لدى زملائه ، فهم يضطرون الى المذاكرة معه ، كيلا تعصف به العواصف ، وفيهم من يكابد من ذلك رهقا كاربا حيث يقف معه عند ضروريات معلومة لا تستأهل الوقوف ، ويراها صاحبنا الغازا علمية تتطلب الاتئاد الطويل ، وكان الوقت يمر ، فنراه معنا في كل سنة دراسية واذا تخلف في بعض المواد للدور الثاني ، فان النتيجة النهائية دائما سارة ، فكنا نحمد الله ان جبر كسره وراب صدعه فهو بسمته الهادىء ، وخدماته الشرائية انيس دؤوب .

وانتهى القسم الاول ، وذهبنا للدراسة الثانوية بمعهد الزقازيق ، وكانت الحرب العالمية الثانية تأخذ على الناس فراغهم النفسي ، كما تضيق بعض منافذ الكسب على قوم ، وتفتح الميادين لاخرين ، وكانت الزقازيق قريبة من التل الكبير وهو احدى ثكنات الانجليز اذ ذاك ، به جنودهم ، ومستودع ذخائرهم ، وصناديق تموينهم ، والناس رواح اليه وغدو ، فادهشنا ان صاحبنا يترك الدراسة كثيرا ليلم مع التجار مختلطا بذوي الكسب المنتهز ، ثم يسعى الينا ببعض التحف والملابس والاوعية تاجرا يبيع ويشتري ، وابتسامته لا تفارق وجهه ، وكنا نحار في اتجاهه هذا ونراه مضيعة لتحصيله العلمي ، ولكنه يخدم زملاءه بما يهون من اثمان ، وابتسامته لا تفارق وجهه ، وتمر الايام ايضا فنراه معنا في كل سنة دراسية واذا تخلف في بعض المواد للدور الثاني فالنتيجة دائما سارة بحمد الله !

وانقضى عهد الدراسة الثانوية ، فحسبنا ان الزميل سيقتصر على ما حصل ، وله من افانين تجارية ما يمد وظيفته المتوسطة بما يعوض ، ولكننا نراه معنا في كلية اللغة العربية ، ونرى له اتصالا بالاساتذة ، يبحث لهم عن مطالبهم الخاصة فيعمل على مصاحبتهم في ضرورياتهم المنزلية ، يهيء البيت لمن يريد ان يبدل السكن ، ويأتي بالعمال لمن يتطلبون النجار او الحداد او الكهربائي لبعض المهام ، وهو بعد غريب لا عهد له بالقاهرة ، ولكنه درسها في يوم وليلة فعرف اسواق التجارة ، وخبر نفوس البائعين ، واتصل بالمهنيين من كل فئة ! وتلك مهارة اجتماعية لا تنكر ، وكنا نضطر الى المذاكرة معه في الايام الاخيرة من العام ، فالشاب النشيط اليف ودود ، وخدماته الشرائية لا تجحد ، وتمر الايام فنجده معنا في كل سنة دراسية اذا تخلف في بعض المواد للدور الثاني فالنتيجة سارة بحمد الله .

وجاءت السنة الرابعة النهائية من سنوات الكلية ، وهي سنة من لون خاص ، اذ ان لها امتحانا شفويا دقيقا يعرف في الدوائر العلمية باسم (التعيين) وهو في الظاهر يدور حول عبارة بلاغية من دلائل الاعجاز في البلاغة واخرى من الاشموني في النحو ، ولكنه باب الى اسئلة شتى في المنطق والتفسير والصرف والعروض وفقه اللغة ، وله رهبة بين الطلاب تدعوهم الى التماس الاساتذة الكبار من المدرسين ليوجهوهم الى مغاليق ما اتفق عليه من سطور التعيين ، وكنت ارحم صاحبي حين اعلم انه سيخوض عبابا سيغرق فيه قبل ان يجتاز الساحل ، وقد زاد خوفي عليه حين علمت ان قدره المحتوم جعله بين من سيمتحنون امام استاذنا الكبير المرحوم الشيخ محمد علي النجار عضو مجمع اللغة العربية ! وهو رجل صعب المراس متغلغل النظر ، دقيق الاستنباط وله بالدقائق العلمية خبرة شاملة وغور عويص ، وكان النابغون من الطلاب يضيقون باسئلته الغامضة ، وتخريجه البعيد ، وتصويبه

للخطأ في موضع ، وتخطئته للصواب في موضع اخر ،وذلك اسلوب جدلي سارت عليه الامتحانات الشفوية امدا غير قصير ، اقول : قد رحمت صاحبي حين علمت ان قدره المحتوم جعله بين من سيمتحنون امام الشيخ النجار ، ولكني فوجئت بمن يدخلون مع الطالب فيعلنون للشيخ ان المسكين رب عائلة كبيرة ، فهو اكبر اشقائه ، وان والده ودع الحياة – وكان والده حيا يتنفس اذ ذاك – وان امل الاسرة متعلق بنجاحه ، ولا بد ان ينال شهادة تحفظ عليها حياتها بكسبه ، ثم يزيدون فيعلنون ان الام مريضة ، والاخوة صغار في المدارس الابتدائية ، ولا من عائل غير ما يرجى من نجاح الطالب !! وكان صديقي واستاذي الشيخ احمد شفيع السيد هو الذي حمل هذه المعلومات للشيخ النجار حتى اضطره الى ان يمنحه الدرجات الصغرى صدقة وحسنة ، فاجتاز بها الامتحان ، واذكر اني زرت الاستاذ احمد شفيع السيد رحمه الله ، وسألته عمن حمل اليه هذه المعلومات عن اسرة الزميل ، فقال في عطف المتأثر وشفقة الراحم ، لقد جاءت والدته المسكينة لزوجتي ، واطلعتها على ما تكابد الاسرة من مصاعب !! والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه ! فلم اتمالك ان اضحك لان الزميل البارع قد استأجر امرأة ما لتمثل الدور على الرجل الشفيق ، ولا والله ما رأت امه القاهرة، ولا مات ابوه !

اصبح صاحبنا مدرسا وبدأ يعلم بعد ان كان يتعلم ، وتفرق الزملاء بين مشرق ومغرب ، فلم اعد اقف على انبائه الجزئية يوما بيوم ، كما كنا في عهد التلمذة ، بل كانت تاتيني شذور من انبائه عفوا دون قصد ، وقد علمت انه تزوج من اسرة ذات ثراء ، وان والد زوجته قد وثق في حسن تدبيره وبراعة تثميره فاصبح مستشاره الاول في مسائل الكسب والاستثمار ، وان جهد الزميل لا ينحصر في المدرسة وحدها ، بل لعلها تكتفي منه بالوجود الشخصي فحسب ، اما شغله الشاغل فأملاك صهره يسعى معه الى ارضه الزراعية ليناقش الفلاحين في القمح والقطن والماشية ، ويمر معه بالليل على اصحاب الديون ليتوعد هذا ويهدد ذاك ، ثم جاءت الانباء مرة ثانية بانه سافر الى بعض البلاد العربية مبعوثا من وزارة التربية والتعليم ، وذلك حقل جديد ما كان لمثله ان يغفل عن استثماره ، وقد عاد بعد اربع سنوات ، فجاءت الانباء مرة ثالثة بانه اشترى منزلا كبيرا في احدى المحافظات ، وان دلائل الثراء قد بدت على حياته بحيث اصبح في طبقة صهره المالية ، وهكذا بلغ الرجل شاطىء الامن ، فسعدت معيشته ، ودر كسبه واصبحت الوظيفة بعضا لا كلا بل لعلها في رأيه مظهر ذاتي للانتماء العلمي على نحو من الانحاء اكثر منها رسالة تؤدى بشغف واخلاص .

لم يكن كل ما مر علي من امر الزميل القديم موضع غرابة لدي ، اذ ان خطواته كانت طبيعية جدا في الطريق الذي اراد ان يجتازه ، محددا هدفه البعيد ، وهو طريق مألوف ، لا نرى فيه فجاءة خارقة او بنوا شاذا ، ولو اكتفى بالسير فيه الى ابعد ما ينتهي به من الخطوات ، ما جذبني للحديث عنه ، ولكنني فوجئت بشذوذ خارق اتى من مثله ! فقد اتيح لي ان ازور بعض البلاد العربية وان اجد كتبا مدرسية فى القراءة والادب والنصوص والقواعد تحمل اسمه الكريم مع بعض الزملاء ، وهي كتب متعددة متنوعة ، ومهما كان التأليف المدرسي اهون كلفة ، وايسر اجادة فان افق صاحبي لا يتسع لهذا النشاط العلمي ! وقد سألت نفسي بادىء ذي بدء أهو توافق اسماء في الابن والاب والجد ؟ ووقفت عند هذا الخاطر ، ولكن معرفتي السابقة بانتدابه الى هذا البلد الشقيق قد رجحت ان يكون هو المؤلف ! وشغلني هذا الخاطر وقتا ، فقلت في نفسي ، لعل الزميل قد وكلت اليه مهمة التصحيح المطبعي فحسب مؤلفا ! ولكن التصحيح المطبعي على سهولته مما يصعب على مثله ايضا ، ولي ولوع ان استقصي الامور دائما في مسائل لا تشغل سواي ، وهو فضول اوحاه الي الجاحظ حين اخذ في كتاب الحيوان والبخلاء يتوسس الى امور من شؤون صحابته ما كان اغناه عنها ! ولكنه قد اورثني هذا الشغف ،على فرق مابين جده وقوته واتساعه وما بيني ، فاتصلت بزملاء المؤلف الفاضل اسألهم عن دوره الحقيقي في هذا التأليف المتنوع المتشعب ، ففوجئت بما هو اعجب واغرب ! فوجئت بان زملاء المؤلف الفاضل – وليسوا من مصر – قد اجمعوا على انه قام باعظم نصيب في التأليف ، وانه قدم من المادة المتنوعة ما يملأ كتبا اخرى، وان فضله عليهم شامل عام ، ولا تزال لديهم صحائف من انتاجه تتطلب النشر ، وسينتهزون الفرصة في العام القادم لتوافق الوزارة على تقريرها ، وطبعها !! واذن فقد زادت المسألة تعقيدا امامي ، ولا بد من بحث !

لقد قيل لي ان الرجل قد الف مقرر المطالعة باجزائه الثلاثة وحده ! فرأيت ان اعكف على دراسة هذه الاجزاء فوجدت بها مختارات لكبار الادباء من الكتاب والشعراء ، وفى هذه المختارات ما أعلم علم اليقين ان صاحبي لا يعلم شيئا عنها ، فلا صلة له بآثار اصحابها ، واماكن تأليفها، وذلك ما يحيرني ولكنه فى الوقت نفسه سيوقفني على اشياء هامة اذا سافرت وناقشت المؤلف ، وهو ما حرصت عليه في العطلة الماضية ، اذ سافرت الى محافظته – ولي بها عهد وثيق – اذ كنت مدرسا فيها لعدة اعوام ، فسعدت بلقاء نخبة من الرفاق ، وسعيت للقاء المؤلف في منزله الانيق ، واشهد لقد استقبلني باعظم ما يقدر عليه من الاحتفاء ، واخذ يسألني عن القطر الشقيق في لهفة ، فقلت ان كتبه المدرسية ذائعة منتشرة به ، ووجدت الفرصة سانحة للحديث عن كتاب المطالعة ، فقلت لصاحبي ، لقد علمت انك وحدك الذي قمت بتأليف كتب المطالعة ؟ فكيف حصلت على جميع ابوابها ، وهي ذات

اتجاهات تتباعد وتتقارب ؟

فاطرق الاستاذ كمن ادرك سرا غامضا وراء السؤال ثم قال في هدوء متواضع ، يا اخي انا اقطع الليل جميعه بحثا عن الموضوعات ، واذا كنت ايام التلمذة لم اشغل بكتب الادب فليس لي عمل غير الاطلاع عليها الان ، وان اسرتي تشكو اكبر الشكوى من اتجاهي للمطالعة والتأليف حيث صرفني ذلك عن مكاسبي الاخرى ، وانها لكثيرة ! اقسم لك اني اشتريت في عام واحد كتبا بأكثر من مائة من الجنيهات !

قلت : هذا قد يكون صحيحا ! ولكني اريد ان اعرف من اين اخترت لفلان وفلان فاني اريد ان ابحث عن مراجعهما وما نقلته من فصولهما الرائعة يجعلك خبيرا بما نقلت من المراجع والمؤلفات !

فرد صاحبي دون ابطاء ، يا اخي : كل شيء لدي بوقته ، انا اقرا وانقل والخص ، ثم ينتهي الامر ، فلا اذكر من اين نقلت ؟ ولا في اي كتاب قرات !

نظرت اليه متعجبا ! وقلت يا سبحان الله : اتنقل مقالات فلان وفلان وفلان ولا تدري من اين نقلت ؟

فتابع صديقي هدوءه وقال في ابتسامة : انا صادق معك فاذا حاولت ان تكذبني فأمري الى الله !

حان الفراق فتركته وذهبت الى الفندق ، وكأن الله عز وجل اراد ان يصلني بالحقيقة دون عناء ، فرأيت صديقا نابها ينتظرني ، وكان زميلا لي بالمدرسة الثانوية من امد بعيد ، فشرق بنا الحديث وغرب ، وسألني الصديق عن عملي بالقطر الشقيق فأجبته ، فقال في حياء : انه يريد ان يبعث معي الى بعض المدارس هناك ، وان فلانا ــ يريد المؤلف الفاضل ــ قد وعده بذلك الصلة الاكيدة ببعض من يقدر على انتدابه ، بل انه كلفه بتأليف كتاب للمطالعة يقرر هناك ، وقد قام بالعمل على اتمه ، وقدم ما كتب ، ولكن الرجل اخبره بعد عام ان الكتاب لم ينجح في المسابقة مع انه بذل في تأليفه وجمعه ما بذل !

فسألت عن بعض فصول الكتاب ، وانا اعرف عما اسأل ، فانطلق الاخ المسكين يذكر العناوين ويدل على المراجع ، ومضى اكثر الليل فودعته ومضى !

قلت في نفسي ، هذا كتاب المطالعة ! ولا بد ان زملاء اخرين قد وقعوا في الشرك ، وانا اعرف كل مدرسي الاقليم ــ ونابغيهم على الخصوص ــ فلا بد ان ابحث ، وهي فرصة تتيح لي ان التقي بزملاء الصبا ورفقاء الشباب! ثم جاء الصباح فاتصلت بالمدارس تليفونيا ، لاعلن الى اصدقاء الامس رغبتي في اللقاء ! وكانوا يبادلونني الشعور ، فهرعوا الى لقائي ، واخذت استقبل واودع ، وصح ما توقعته ! فهذا زميل اسأله عن انتاجه ، فيقول انه اشترك في تأليف كتاب للقواعد قدم للمسابقة في جهة ما ، فلم ينل التوفيق ، فأقول له ، وكيف ارسلت الكتاب ، فيرد ان فلانا اتفق معه ومناه ووعده ، واخذ الكتاب ، وبذل ما بذل من الاهتمام ولكن الحظ اخلفه ، فلم يفز لدى الفاحصين !

ويتكرر الموقف اذ يتحدث زميل اخر عن كتاب الادب والنصوص ، وكلهم يثنون على صاحبي فقد تقدم بالاقتراح وشجع ، واخذ الكتاب ، وارسله على نفقته ، واوصى معارفه بالاهتمام به ولكن الحظ قد اخلف !

هي اذن مسرحية رائعة ، اخرجها الزميل الجريء باحتيال في دنيا التأليف يفوق احتياله في ميدان التجارة ، وحقول الزراعة ! وقد كسب الاجر المادي ، وطبع اسمه مع المؤلفين في القطر الشقيق ، وحل منهم محل الاكبار فهم يعلنون انه اسهم خير الاسهام بزاد حفيل .

وان العبء كاد يقع على كاهله وحده ! او ان لديهم من مخطوطاته ما يصلح لمسابقة قادمة ، والرجل قنوع مطمئن ، لا يسأل عما كتبوا ، ولا يبالي ان كانوا قد قصروا اكثر التقصير اذا قيس انتاجهم الى انتاجه ! هو قانع مسماح ، ففيم الحساب !

لا ادري من اخبر صاحبي في بياض نهار واحد ، انني قابلت ضحاياه ، وسألتهم فأجابوا ، حيث لم تؤذن العشاء حتى ابصرته قادما الى الفندق يسأل عني في اهتمام ، واخذ يظهر من دلائل الود ، واكيد الحب ما عقل لساني امامه ثم صمم على ان البي طلبه ، فأتناول طعام الغداء غدا بمنزله ، لان الزيارة الاولى لم تتح له ان يقوم بالواجب وكلما اعلنت الاعتذار ، تشدد واقسم ، وحاصرني جهد ما يستطيع حتى رأيت ان ارتاح من لجاجه فقبلت ، وتواعدنا على اللقاء في ظهيرة الغد !

كان استقبال صاحبي واحتفاؤه اكثر مما يعقل ، فما اعهد بين الزملاء اهتماما خارقا كهذا الاهتمام ، ورأيت من واجبي ــ وانا ضيف ــ ان اكون دمث الحديث ، عذب المنحى ، فلا اثير من الخواطر ما يسيء ، ولكن الرجل بعد ان انتهينا من الغداء ، وحانت ساعة الفراق ، نظر الي في هدوء باسم وقال متفرسا :

علمت ان فلانا وفلانا وفلانا زاروك اليوم ! هم والله من اعز الناس علي ، وقد قدموا الي كتبا مدرسية لادفعها الى مسابقة عامة عندكم ، وبذلت في سبيلهم كثيرا كثيرا ، واوصيت زملائي هناك ، ولكن الحظ قد عاكسهم فلم يفوزوا بطائل مما ضاعف اسفي لمجهودهم الضائع !

سكت ، وتعجلت الرحيل فنهض صاحبي ــ على غير عادته في الزيارة الاولى ــ ليحضر العربة وخف معي الى الفندق ، فقلت اني سأتجه سريعا الى القاهرة فأصر على توديعي بالمحطة ، وقبل ان اتوجه الى شراء التذكرة سبقني فاحضر تذكرة للدرجة الاولى ، واقسم انها بعض حقوق الضيف العزيز !! وركبت القطار ، وهو واقف يودعني ويشد على يدي ، ولم اشأ ان اخبر ضحاياه ، فالامر بعد هذه المجاملة سر مكتوم لا يعرفه غير مجلة « الاديب » .

الرياض ــ كلية اللغة العربية **محمد رجب البيومي**

ليالي الحسوم

●

عصفت غواشٍ مدها لا يقلع وكأنها القدر الذي لا يدفع
تنداح في افق بهيم شاسع اطباقه كالبحر او هو أوسع
وجرت مواكب للدجى ببيارق في عارض للريح راح يقعقع
والارض في سود المطارف اجهشت شجنا كثكلى لاتني تتوجع
لبست من اتليل البهيم ملاءة سوداء ما كانت تحل وتنزع
افوافها قتم دجت اطباقها وتراكمت في عاصف تتجمع
جثم الاذى من دونها متحفزا للشر وهو على المدى يتطلع

والريح تجأر بالدعاء كأنها ولهى بغرب نشيجها تتضرع
ملأت زمازمها الفضاء ولم تزل تعلو زمازمها الفضاء وتقرع
ودوت مجلجلة كأن صواعقا ضربت ترن بشاسع وترجع
قيثارة للريح ليست تأتلي في مسمع الدنيا تطن وتسجع
اوتارها الاوجاع شف رنينها ما حن الف او تشكى موجع
والليل غمر زاخر بقتامه وقتامه المر الذي لا يجرع
ملأ البسيطة بالعذاب ولم تزل اطباقة كسفا تروع وتفزع

والسحب في الافق البعيد تذاءبت حيرى مولهة تغذ وتسرع
عصفت زلازلها بليل عاصف ما كان يقلع عن اذى او ينزع
متزمل في غيله بقتامه وكأنه بقتامه متبرقع
سحب تدجت بالظلام ومثلها سحب يزجيها الظلام ويتبع
شالت مراسيها وراح شراعها بجناح نسر يتريث ويسرع
مخرت .. تلاطم عاصفا بشراعها والرعد يجأر دونها ويجعجع
وتواكبت للغيم اعلام دجت اطباقها وبكل افق تطلع

والارض في سنة النزيف تثاءبت مخمورة وتململت تتوجع
غطى الظلام حياضها بقتامه وجرى بمنهمر يسح ويهمع
والروض قفر عريت ادواحه من مطرف عجب يروق ويسطع
هجرت بلابله ذرى وكناتها وتفرقت مذعورة تتطلع
اسفت طويلا ان رأت اعشاشها منهارة بيد الاذى تتصدع
والنهر مزور الخطا متعثر يحبو بمشروعه وحينا يظلع
والدوح اطرق من شجا لوساوس تفري بمخلب كاسر وتقطع

طال العذاب من الظلام ولم يعد في الصدر صبر يرتجى او ينفع
اين المجير على العذاب لمرهق بل من يعين على الاذى او يسمع

دمشق عدنان مردم بك

التقويم مرقاة التعظيم

بقلم كعدي كعدي

• • •

التقويم معرفة قيمة الشيء ووضعه في موضعه فاذا احسن التقويم استقامت الحقيقة وباستقامة الحقيقة يستقيم الحق والعدل فيزدهر العمران .

واذا اسيء التقويم تفقد الحقيقة فيسود الباطل والفوضى والتشويش والانحطاط ولقد اجاد ابو الطيب حيث قال :

ووضع الندى في موضع السيف في العلى مضر كوضع السيف في موضع الندى

لا غرو في ذلك ولا عجب فوضع المديح في موضع التجريح مداهنة ورياء ووضع التجريح في موضع المديح اثم وجريمة . ووضع الليل في موضع النهار تبديل لسنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ووضع الذنب في موضع الراس رجوع الى الوراء ولقد اصاب من قال :

تعجب قوم من تاخر حالنا ولا عجب من حالنا ان تؤخرا
فلما غدت اذنابنا ارؤوسنا لنا غدونا بحكم الطبع نمشي الى الوراء

تقويم القيم اعظم من القيم نفسها ، افليس الكتاب النفيس والقصيدة الرائعة ولوحة الفن الخالدة بين يدي الجاهل الا كدرة ثمينة بين يدي خنزير يدوسها بارجله على حد قول المسيح .

« لا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها »

وهل خرير الجداول وحفيف الاشجار واغاريد الاطيار وهي اطرب الاصوات الا لا شيء في اذن الاصم ؟

وهل جمال شعاع الشمس وهو اجمل ما في الوجود الا ظلام دامس في عين الاعمى ؟ فجهلنا القيم يفقدنا القيم فكم اضاع جهل الناس جواهر الناس ؟

فالاشياء تقوم بمعرفتك الاشياء فلا يعرف الفضل الا ذوو الفضل وبمعاناتها على حد قول الشاعر .

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

وباضدادها فلولا مرارة الجوع ما كانت حلاوة الطعام .

ولولا حرقة العطش ما كانت لذة الشراب .

ولولا ظلام الليل ما كان جمال نور النهار .

ولولا عبوسة الشتاء ما كانت ابتسامة الربيع .

لولا المرض ما كانت الصحة تاجا على راس الاصحاء لا يراه الا المرضى .

ولولا العبودية ما كانت الحرية مشعلا ينير زوايا النفوس المظلمة .

فايهما اعظم التقويم ام القيم ؟ الكتاب ام قارىء الكتاب والكتاب بلا قارىء كالسيف في القراب ؟

العين التي تبصر الحسن فتستحسنه ام الحسن نفسه ؟

اريج الزهر ام النسيم الذي ينشر اريج الزهر ؟

طاقات التقويم ، المعرفة الواسعة والثقافة والجراة النادرة والحرية والنزاهة والتجرد فالجبن والخوف والجهل والضعف والتذبذب والخنوع مقابر التقويم ، ومدافن القيم ، فما مديحك حاكما وهو في الحكم وانقضاضك عليه بالتجريح والتقريع بعد الحكم الا حكم مبرم على يقظة الخنوع والجبن في النفس وهجوع الشرف والكرامة فيها .

وهل تقبيلك يدا تكبلك بالاصفاد وعضك يدا تفكك من الاصفاد الا دليل قاطع على رسفك في قيود العبودية والذل والهوان ؟

وهل تسليمك بتمجيد من حاك هالة حوله من ضعف الضعفاء وجبن الجبناء وجهل الجهلاء دون تمحيص وتقويم الا هتك لقدسية التقويم ؟

اوليس اشد منك هتكا لحرمة التقويم ذاك الذي يعرف ان تلك الهالة نسيج من الوهم والخوف والجبن ولا يجرؤ لسانه على التفوه بما راى بصره ، وسمعت اذنه ، ووعى قلبه ، وشر النكبات ان يتكلم المرء بلسانه ما ليس في قلبه ؟

اوليس من هذا القبيل ان تقيس الناس بمناصب دنيوية ترفعهم اليها الشفاعات ، ولا تقيسهم بمراتب يرقون اليها في عالم الروح والعقل والعلم والحق والعدل والرحمة ، والانسان بمراتب روحية وليس بمناصب دنيوية ؟

فهل هذا التقويم الا توثين الالهة وتأليه الاوثان ؟

وما اكثر الاوثان اوثان المال ، والسياسة والعلم والالقاب الطنانة والشهرة الفارغة ! فما احوجنا الى من يحطم الاوثان تحطيم النبي العزى واللات ... فقد حجبت ظلالها ظل الله عنا ؟

ان في ارتفاع اللئام مآتم الكرام فخير ، للامة ان يموت فيها الف كريم من ان يرتفع لئيم واحد ولقد اجاد داهية العرب عمر بن العاص حين قال :

« ان موت الف من العلية اقل ضررا من ارتفاع واحد من السفلة » .

وما اروع الحكمة الساطعة على لسان النبي عندما سئل ! متى تقوم القيامة يا رسول الله ؟ فأجاب عندما تسند الامور الى غير اهلها .

فاذا رايت اعصار الفوضى والرشوة والكذب والانحطاط يلف الامة فقل ان تلك الامة اسندت الوظائف والمناصب والوزارات الى غير اهلها ؟

ويل لامة يشقى ابرارها ، ويسعد اشرارها ،ينعم

الى خلود

لا تحفري في ضميري طيف امنية | وتتركيني الى ذلي واوهامي
فانني طائر بهفو الى فنن | اشدو عليه ترانيمي وانغامي
ما تبتغين ؟ غرامي اليوم قد طويت | احلامه وتولت طيب ايامي
اترجعين وما في الروح من وطر | وتطمحين بذكر منك بسام
تلك الليالي التي امضيتها قلقا | حيران ابعث آهاتي وتهيامي
ضاعت وصوح يا سمراء لي امل | قد كان موطن اشواقي والهامي
ما عاد لي مطمح يغريك بي فانا | ـ كما ترين ـ شقي نهب اسقامي
خلود .. يا نعمة حيرى يرتلها | على الانام فؤاد العاشق الدامي
اذا احتوانا طريق صدفة فعدي | ان لا تعاود في عينيك احلامي

بغداد — عبد الخالق فريد

جاهلها وعالمها الذي لا يشق له غبار يعلو مؤلفاته الغبار !

كل ما في الطبيعة يرمز الى التقويم فالسماء للكواكب والاقمار ، والارض للحجارة والصلصال ، والتحليق للنسر والزحف للحشرات والديدان ، والعندلة للعندليب والهزار ، والنعاب للبوم والنعيق للغربان ، اليست قطرات ندى الصباح المنسكبة على ثغور الزهر الا قبلات السماء تطبعها على ثغور الزهر ؟

وهل الورود والرياحين التي تكسو وجه الارض الا ابتسامات الارض شكرانا لمقلة السماء على دموعها التي لولاها ما كانت الورود والرياحين ؟

الا ترى الى « زهرة دوار الشمس » كيف تدير وجهها الى وجه الشمس كيفما دار وجه الشمس اشارة الى بالغ تقديرها فضل الشمس ؟

وهل صداح الطير وهمسات النسيم وحفيف الشجر وخرير الماء الا تسابيح الطبيعة لخالق الطبيعة ؟

وهل النجوم في القبة الزرقاء الا عيون السماء التي ترعى الارض وابناء الارض ؟

فلماذا لا يجري الانسان على سنن الطبيعة وهو المحور الذي تدور عليه الطبيعة ؟ تزرع في تربة نفسه بذور الوفاء فتحصدها اشواك نكران واحساك جحود ، وتستودع الارض الجيف فتودعك الازهار والاثمار ؟!

يبطش قويه بضعيفه والطبيعة تعمل على احياء نبتة صغيرة نابتة في ظلال الصخور علها على احياء دوحة عاتية .

يقوم الانسان بناطحات السحاب ولا يقومه بعقل يجوب السحاب وما فوق السحاب .

العقل يوجد في كل رأس كما تكمن النار في كل حجر وكما تحتاج النار الى مزاولة الحك والقدح لتظهر هكذا العقل يحتاج الى مزاولة النشاط والتقدير ليبرز فان تكن مدرسة الكتاب تهدي الى العقل فان مدرسة الانسان للانسان تصقل العقل وتنميه فيتكامل .

وما مدرسة الانسان للانسان الا مدرسة تقويم قوى العقل والفكر والروح والخيال بالثناء والتكريم ، فما سماء الغرب تمطر النبوغ ولا ارضه تثبت العبقرية ، انما يمطر النبوغ وينبت العبقرية تقدير الناس فالعقل كالشجرة كلما تعهدتها زادتك ثمرا . فهاتوا مثل بريطانيا التي رضيت ان تتخلى عن مستعمراتها ولم ترض ان تتخلى عن شكسبير وخذوا امثال شكسبير .

قالوا ان الطبيعة ولدت المتنبي وعقمت وقد فاتهم ان الطبيعة ما عقمت ولن تعقم فهي هي في كل زمان ومكان ، انما الذي عقم هو تقدير مثل تقدير سيف الدولة للشعر والشعراء فهاتوا مثل سيف الدولة وخذوا امثال المتنبي . الامم العظيمة توجد العظماء فما يكاد يموت عظيم فيها حتى تنشأ المؤلفات تخليدا لذكراه فيجد غيره لكي ينال ما نال سلفه من جلال التكريم والتعظيم .

فويل لامة تقفل ابواب التقويم فتقفل ابواب التعظيم ، فالتقويم مرقاة التعظيم .

وسقيا ليوم يطلع على العالم حاملا مفاتيح ابواب التقويم ليدرك الناس ان الانسانية جسم واحد تتعاون اعضاؤه وان اختلفت اسماؤها وتنوعت وظائفها على حفظ كيانه فلا الدماغ يشغل وظيفة العين ولا العين تشغل وظيفة القلب فجمال الكون وكماله في ان يعرف كل حده فيقف عنده .

كعدي كعدي

قمر الكيليمنجارو

استوحيت هذه القصة من سيرة العالمة الفيزيائية سلوى نصار ، من مواليد ضهور الشوير «لبنان» التي فقدناها في شباط ١٩٦٧ .

بقلم روز غريب

الجمال الذي يحكم العالم بل الفكر .
« الفكر ... » رددت الكلمة في ذهني وانتظرت منها مزيدا من الايضاح والتعليق ، لكني رايتها تحول نظرها عني كأنها تخشى الافصاح عما في نفسها ، فقلت :
– اني ارتاح الى حديثك . واود ان اطمئنك باني لن انقله لاحد .
لاح على شفتيها ظل ابتسامة وقالت :



– اسمعي يا عزيزتي . علمني اختباري المحدود ان اقتصد في الكلام خوفا من الوقوع في الخطأ . انا الان اعيش على الاحلام وليس من الحكمة ان افضي اليك بأمور لا تزال في علم الغيب .
قلت : وانا كذلك اعيش على الاحلام وليس من الحكمة ان افضي اليك بامور لا تزال في عالم الغيب .
قلت : وانا كذلك اعيش على الاحلام . حدثيني عن احلامك فاحدثك عن احلامي لعل في ذلك فائدة لكلتينا .
قالت وقد ظهرت عليها علامات الارتياح :
– قولي لي شيئا عنك . حدثيني عن احلامك اولا .
اجبت ببساطة ومن غير تردد :
– آه يا عزيزتي . اني اشعر بحيرة وتمزق ، تتنازعني الاماني وتزدحم في راسي الافكار . انا الان في سن الحب والزواج وفي سن العلم والعمل ولا ادري اين ابدأ وعلى ماذا استقر . احلامي كثيرة ، متضاربة ، ونشاطي محدود وتفكيري قاصر .
قالت وقد غشي عينيها الواسعتين ضباب الحلم :
– لا ادري كم تطول حياتي على هذه الارض لكني اريد ان اعيش كل دقيقة منها . اريد ان اعرف كل شيء وان اختبر كل شيء . اريد ان انمو الى اقصى الحدود واجعل من حياتي سلسلة انتصارات .
لم يكن في كلامها هذا اثر للحيرة والانفعال . انها فتاة تعرف ما تريد . لا تهمها الوسيلة بل الغاية . تريد ان تحيا كل دقيقة . ان تتخذ كل خطوة وسيلة للنمو .
تهيبت موقفها ولجأت الى الصمت ... وما لبثت ان فارقتها على امل العودة الى محادثتها ومكاشفتها فقد بدت لي فتاة غير عادية .
اردت زيارتها بعد اسبوع فوجدت
التقيتها للمرة الاولى عقيب خروجها من المدرسة الثانوية . قالت لي ان اهم ما استفادته من تلك المدرسة اقتناعها بان الفتاة تستطيع ان تجاري الفتى في العلم بل ربما تفوقت عليه .
– « كنت في مدرسة مختلطة وكان عدد الصبيان في صفي يفوق عدد البنات ومع هذا كنت دائما احرز الاولية في الامتحانات . »
– والان ؟
– والان ترينني منشرحة الصدر ، احس نشوة الفوز واحمل من تلك المدرسة العزيزة ذكريات طيبة ، لكن شيئا واحدا يكدر تلك الذكريات . هو انقيادي حينذاك لغرور الانثى وولعها بعرض محاسنها في بيئة يسود فيها الرجل . اتعلمين اني كنت انفق من وقتي كل يوم نحو ربع ساعة في تطويق خصري بمشد ضيق جدا يكسبني رشاقة كاذبة في اعين الناظرين ..
– اي غرور في هذا يا نائلة ؟ أتحسبين لبس المشد تبرجا ؟
– نعم . لقد تخلصت منه الان . احس اني اكثر حرية وقدرة على العمل ، لاسيما واني مقبلة على سنة كد وكفاح في بيئة جامعية . كد وكفاح لان علي ان اعمل بضع ساعات اضافية كل يوم لتحصيل نفقات الدراسة . سيظل مظهري بسيطا ، شديد البساطة . وارجو ان يؤدي بي الكد والجهد المتواصل الى خسارة بعض وزني ، فيزور النحول اردافي ولا اعود اتضايق من ثقلها .
القيت عليها نظرة فاحصة . كانت تلبس ثوبا قاتم اللون ، تبدو فيه ضامرة ، خفيفة اللحم ، وجهها اسمر مشرب بالحمرة ، شعرها كستنائي كثيف ، جمعته في ضفيرتين تتدليان على كتفيها .
قلت :
– تبدين كفتاة في الخامسة عشرة . في سن المراهقة . ارجو ان تحافظي على مظهرك البسيط في اروقة الجامعة لكي يظنوك زائرة لا طالبة .
بهذه الصفة يمكن ان تسترعي الانظار .
القت علي نظرة بريئة عاتبة وقالت :
– انا ابعد الناس عن الرغبة في لفت النظر .
– لماذا تحسبين لفت النظر جريمة ؟
– لانه ظاهرة طفولية . دليل محدودية وعدم نضج . حين يقوم الواحد منا بعمل ذي فائدة عامة يحق له ان يعلن عنه رغبة في تعميم فائدته . اما ان تحاول الفتاة جذب النظر الى شكلها فهذا في رايي شيء حقير .
– لكن للشكل اهميته في الحياة .
– اهمية محدودة كما قلت . ليس

على باب غرفتها بطاقة تقول : « مشغولة ، الرجاء عدم ازعاجي » .

لقيتها في اليوم التالي فقالت انها قضت نهارها وليلها بكاملهما في حل مسائل رياضية والان تشعر برغبة في الخروج الى العراء . الى حيث تتنشق هواء جديدا .

ـ تعالي نقم برحلة قصيرة الى الضاحية .

مشينا مسرعتين ، ننهب الارض باقدامنا ، حتى وصلنا الى منبسط من الارض فوق رابية تشرف على المدينة . فجلسنا على العشب نستمتع برطوبته . ثم انتقلنا الى مقهى صغير يحاذي بناء عاليا مربعا ازدحمت فيه وفوقه آلات وانابيب من حديد . وفهمنا من صاحب المقهى انه احدى المحطات التي تزود المدينة بالكهرباء .

بعد تناول فنجان شاي مع قطعة كعكة لذيذة ، خطر لنا ان نسرح قليلا في تلك البقعة الفسيحة . لمحت شجرة زعرور فركضت اليها وتسلقتها واخذت اقطف منها الثمار الناضجة الحمراء وعدت راكضة ، في يدي حفنة زعرور اردت ان اطعم منها نائلة . واذا بي اراها تتمشى بين الآلات على سطح محطة الكهرباء ، تدور من ناحية الى اخرى وتتفحص الاجهزة كأنها في مختبر ميكانيكي ، والرجل المسؤول عن حراسة المحطة يصيح بها ان انزلي فالمكان خطر . واذ لم يسمع منها جوابا ، تسمر في مكانه واخذ يكرر صياحه وهي لا تعيره اهتماما ، حتى هددها بدعوة الشرطة تلفونيا ، فاضطرت الى النزول .

سألتها : أللدرس جئت ام للنزهة ؟

اجابت : كانت فرصة سانحة لدرس تجهيزات كهربائية معقدة لا نجدها بسهولة في المدينة . لكن هذا الحارس الغبي حرمني تلك الفرصة . كنت سعيدة فوق ذاك السطح ...

فيما نحن راجعتان الى الكلية قلت لها :

ـ لدي مشكلة اود عرضها عليك . افكر في اختيار اختصاص علمي ، في فرع البيولوجيا . لكنه موضوع يتطلب اساسا قويا في الرياضيات وليس لي هذا الاساس . لهذا ترينني مترددة . فصاحت مبتهجة :

ـ اياك ان تترددي يا عزيزتي . اني مستعدة لمد يد المساعدة اليك حين تشائين . ان الرياضيات والعلوم الطبيعية هي الموضوع الذي نذرت له نشاطي وبما اني اعرف خوف البنات منه ، ترينني ابذل جهدي لتحطيم هذا الخوف .

ـ لماذا تخافه البنات ؟

ـ لانهن في الصفوف الابتدائية في سنوات التأسيس ، يقعن في ايدي معلمات يجهلن الحساب ومع هذا يكلفن بتدريسه . فتكون النتيجة نفور تلاميذهن من الحساب ومن الرياضيات فيما بعد .

قلت :

ـ هناك من يعتقدون ان درس الرياضيات يتطلب عقلية خاصة وذكاء مختلفا عن الذي تتطلبه درس الفن والادب .

قالت :

ـ هذا راي خاطىء . فكلاهما ـ اي العلم والادب ـ يحتاج الى جهد ودربة وذكاء خلاق ... العالم في مختبره يعتمد على الخيال المبدع ، او الذكاء الخالق ، في وضع نظريات يختبر صحتها بالتجربة ، كما ان الاديب يحتاج الى الخيال المبدع لخلق اشخاص روايته وحوادثها او لابتكار رموز جديدة واسلوب جديد ... العلم والادب يتعاونان. تذكري الروائي جول فرن مثلا ، فقد كانت دراسته في مطلع شبابه اختصاصا في الحقوق التي نال فيها شهادة عالية . ثم عكف على الكتابة واستمد من مطالعة العلوم الرياضية والفلكية والفيزيائية مادة قصص شهيرة مهدت لعدد من الاختراعات والاكتشافات العلمية

واضافت نائلة :

ـ جميع العلوم والآداب تلتقي في نهاية المطاف ... التعمق في الفلسفة يستلزم تعمقا في الرياضيات .

ـ ولماذا يميل بعضهم الى الادب والبعض الاخر الى العلوم ؟

ـ لاختلاف البيئة والتوجيه . البيئة عندنا تصلح او تفسد . تهدي او تضلل . البنت تحاط منذ ولادتها بجو يزين لها التراخي وعدم الثقة بالنفس ، ويغريها بالسعي لاصطياد الزوج الذي يوفر لها الراحة والاتكالية ... النعومة والتبرج واصطناع الضعف والخوف ، هذه مقومات الانوثة عندنا . فاذا كانت الفتاة بسيطة المظهر ، واذا اقتحمت ميدانا جديدا من ميادين العمل قالوا « مسترجلة » .

كنت قد رافقتها الى باب غرفتها من غير ان اشعر . فاستدرت للرجوع لعلمي انها تأنف من اضاعة وقتها في مجالس الثرثرة . لكنها الحت علي بالدخول فدخلت .

لفت نظري غيتار معلق على جدار غرفتها . وقبل ان اسألها عن وظيفة الغيتار قالت :

ـ اكتشفت مؤخرا اني حسنة الصوت ، قادرة على حفظ الالحان وضبطها . وقد تعرفت خلال الصيف الى تلميذ في الثانوية يجيد العزف على الغيتار رغم حداثة سنه ، فعرض علي ان يعطيني درسا في الغيتار مقابل درس في الرياضيات .

ـ اهنئك .

ـ حتى الان لم تؤثر دروس الموسيقى في دروسي الاساسية . اذا هبطت علامتي عما اريدها ان تكون . اضطر الى ترك الغيتار ولكن مكرهة، لاني اجد في هذه الهواية متعة كبرى .

لم تؤثر الهواية الموسيقية ولا هوايات اخرى في دروسها الاساسية. فقد حافظت على علامة التفوق . وفي نهاية السنة ، عقيب الحفلة الختامية،

رافقتها الى غرفتها فوجدتها منهمكة في اعداد حقيبتها فسألتها :

ـ الى الجبل ؟

ـ لا بل الى افريقيا .

شهقت متعجبة . ووقفت انتظر ان اسمع منها ايضاحا عن تلك الرحلة الجريئة . فقالت بعد قليل :

ـ اشتركت مع بعض الزملاء والزميلات في تخطيط الرحلة . معنا خريطة مفصلة ، بما فيها تسلق جبل كيليمنجارو .

ـ جبل كيليمنجارو ؟

وضعت يدي على جبينها لارى امحمومة هي ؟ هل تنطق عن هذيان ؟

ـ انا بخير يا عزيزتي .. لن اكون اول امراة تتسلق الكيليمنجارو .

ـ والنفقات ؟

ـ حالفني الحظ ، وجدت شغلا في المختبر امكنني من جمع نفقات الرحلة ...

ـ المختبر والفيتار والرياضة وعلامات ممتازة والان ... رحلة الى افريقيا ؟

ـ سنبدأ الرحلة في خلال ايام ... انا على مذهب القائلين ان الراحة انما هي انتقال من شغل الى شغل ، من جو الى جو . ارجو ان اجد هناك راحة ومتعة .

ومضت السنون . سافرت نائلة الى اميركا . وسافرت انا الى مدرسة حديثة النشأة ، اسهم في تنميتها وتطويرها . غاب عني وجه نائلة لكني ظللت اتتبع اخبارها ، اراسلها بين حين واخر ، وتاتيني منها بطاقات تتضمن سطورا قليلة ، سريعة .

ثم كانت المفاجأة يوم عادت لتستقر في بلادها بعد عشر سنوات امضتها في الغربة . طوقت جبينها باكاليل غار بعدد تلك السنوات .

حين التقيتها لاحظت ان اصابع الزمن قد زرعت في راسها خصلا بيضاء وفي وجهها حفرا بارزة ، لكن في عينيها وفي ابتسامتها صفاء وعذوبة يأسران الناظر ويملآنه ارتياحا وغبطة .

قلت : حدثيني عن انتصاراتك في هذه الغيبة الطويلة .

قالت : وهل يعنيك امري ؟

اجبت : اكثر مما تظنين . اود ان تحسبيني ذاتك الثانية التي لا اقل عنها اخلاصا .

اطرقت نائلة لحظة ثم قالت :

ـ نعم . استطعت تحقيق امنيتي في الاغتراف من بحر العلم . نلت اعلى شهادة في موضوع كاد يكون وقفا على الرجال . مارست البحث العلمي على ارفع مستوى في حقل الفيزياء الذرية . اما الامنية الثانية التي نجحت في تحقيقها فهي الاسفار .. لم ابلغ قمة الكيليمنجارو لكني تسلقت شطرا كبيرا منه ولا تسلي عما احمله من ذكريات رائعة عن هذه المغامرة . وقد شجعتني على القيام برحلات اخرى الى اقاصي الارض . الى اليابان والصين وروسيا والهند ، عدا المكسيك وبحيرات الشمال واربعين من الولايات المتحدة ... لكني ما زلت اعلل نفسي ببلوغ قمة الكيليمنجارو .

قلت : لا تسرفي في المجازفة .

اجابت : لكني اعشق المجازفة وارى الحياة تافهة بدونها . اريد بلوغ القمة في كل ما اصنعه .

ـ في حين يقنع غيرك بالحضيض .

ـ لكل فرد منا مذهبه واسلوبه في العيش .

ـ ما هي خطتك الان ؟

ـ اريد القيام بعمل جدي بعيد الاثر ، يستغرق جهودي ويمنحني لذة دائمة . اعطيني بعض الوقت وساحدثك عن مشروعي .

كنت القاها بين حين واخر فاجتنب سؤالها عن عملها خوفا من ان اثقل عليها لكنها كانت تبادرني بالحديث عن مشاكلها من غير ان تنتظر سؤالي . قالت انها تسعى لتأسيس مختبر حديث التجهيز يضمن لها التفرغ للبحث العلمي وتأمل ان تنجح في تأليف لجنة من الراغبين في التبرع لتمويل هذا المشروع الكبير . واضافت :

ـ اذا فشلت في الحصول على مساهمة اللجنة فاني مستعدة لتمويله بنفسي .

كيف تستطيع تمويله ؟

علمت انها تسلمت وظيفة ادارية ذات راتب ضخم تبتلع اكثر اوقاتها . ورغم مسؤولياتها الادارية لم تهمل التطوع لمساعدة من يحتاجون الى مساعدتها في مشروع تربوي ، انمائي او اجتماعي . فقد صحبتها يوما الى بيت صديق لها مصاب بمرض عضال ، مكثت عنده نحو ساعة من الزمن تواسيه وتحاول الترفيه عنه .

قالت : هذا الانسان في حاجة الى من يعطف عليه . لاحظت ان زيارتي تفيده ، فكيف يمكنني ان ابخل عليه ببضع دقائق من وقتي ؟ .

ثم كان يوم دعتني فيه الى غرفتها . هناك وجدتها ، على غير عادة ، متكئة على مقعدها ، كأنها تطلب الراحة .

قالت : هل لك في نزهة كالتي كنا نقوم بها في الضواحي ؟

قلت : بشرط ان تكون النزهة للراحة والمتعة لا لصعود القمم .

قالت : لكن وراء الصعود هبوطا فلا تخافي .

وسارت بي الى مكان منعزل حيث هبطنا سلالم حجرية انتهينا منها الى قبو واسع في اسفل بناية قديمة .

دخلنا القبو فاذا هناك مختبر مجهز بآلات ومعدات وقفت امامها حائرة ، مضعضعة ، كأني امام لوحة تحمل كتابات هيروغليفية وعلامات سرية .

قالت : هذا هو المختبر الذي كنت امني النفس بالحصول عليه . وقد عرضت المشروع على اشخاص اظهروا رغبتهم في التبرع له لكنهم وقفوا عند حد الرغبة . فعقدت النية على تمويله بنفسي ؟

— كيف ذلك ؟

— استخدمت النقود التي جمعتها اثناء اقامتي في اميركا وحصلت على سلفة مالية من المشرفين على عملي الاداري . ثم اني انفق على المختبر كل ما اقتصده من راتبي الشهري .

— انت امراة جبارة .

— للان لم افعل شيئا يستحق الاهتمام . المشروع سر بيني وبينك. لا اريد ان يعلم به احد غيرك .

واشارت الى درج في مكتب كبير يتوسط المكان :

— هنا ملفات اودعتها جميع الدراسات التي وضعتها حتى الان . آه يا عزيزتي !. كم انا سعيدة بهذا الوكر الذي اقضي فيه اسعد اوقاتي.

— كيف يمكنك التوفيق بين عملك هنا وعملك الاداري ؟

— نجحت في تنظيم وقتي تنظيما دقيقا كما افعل في حل مسألة رياضية . وبما اني احب عملي هذا ، اجد فيه راحة او تغييرا مريحا .

— هل بدأت ابحاثك ؟

— منذ سنة تقريبا . ولن يفوتني ان احدثك عن النتائج .

— هذا اذا استطعت ان افهم منها شيئا .

خرجت من ذلك الوكر بمشاعر متضاربة . كنت سعيدة وخائفة في آن . لكني حرصت على كتمان مشاعري . ومع اني ظللت اتتبع احوال نائلة والاحظ تحركاتها ، رأيت ان لا ازعجها بزيارة او لقاء الا اذا طلبت مني ذلك .

وقد دعتني للاحتفال بانجاز دفعة ثانية من ابحاثها . اقتصر الاحتفال علينا نحن الاثنتين . وكانت نائلة منفرجة الاسارير ، طلقة اللسان ، اندفعت في الحديث عن عملها واعلنت لي ان البحث الطويل الدائب اوصلها الى نتائج ماكانت لتحلم بها .

واندفعت في تهنئتها مع جهلي لما توصلت اليه . وجازفت بالسؤال عن صحتها فصرحت بانها تشعر منذ حين بوهن لا تدري سببه .

قلت مقاطعة : انه الارهاق بلا شك .

— لكني اجتنب الارهاق بفضل حسن تنظيمي للوقت . اتعلمين اني انام في العاشرة وانهض في السادسة؟ فاين الارهاق ؟

— هل حدثت الطبيب عن الابحاث التي تقومين بها في المختبر ؟

— لا . لم ار داعيا لذلك . قلت لك اريد ان يبقى الامر سرا بيني وبينك .

— لا ادري لماذا اشعر بضرورة اعلام الطبيب بمشروعك هذا .

— لا . ربما منعني عنه فأخسر كل لذة في العيش . لن اذكر له كلمة حتى يحين موعد نشر الابحاث ... موعد بلوغ القمة ..

خطر ببالي قمة الكيليمنجارو لكني لزمت الصمت .

لقد ساءت حالة نائلة عقيب ذاك اللقاء ، وتدهورت صحتها تدهورا سريعا .

عادها اكثر من طبيب ولم يستطع اي منهم تشخيص علتها . حينذاك عزمت على الافضاء اليهم بحديث المختبر السري والابحاث التي تجري فيه . ولدى اصغائهم الى حديثي واشارتي الى عملها السابق في اميركا ، صرخوا بصوت واحد :

— عرفنا سر الداء . صديقتك ضحية الاشعاع الذري وهي لا تدري ! ..

— كيف ؟ الا يمكن انقاذها ؟

— ربما فات الاوان ، اجاب واحد منهم . لقد امضت مدة غير قليلة في عمل فتك بكثيرين قبلها .

وقال آخر : طوت الجناح على علتها حتى قتلتها !

— انقذوها! صحت بصوت مخنوق. لماذا تقفون واجمين كأن الامر لا يعنيكم ؟ ايعجز العلم الحديث عن انقاذ احدى نجماته اللامعات ؟ بالله سارعوا الى انقاذها .

قر رايهم على المحاولة . ووعدوا ببذل اقصى الجهود واستعمال انجع الادوية لمعالجة نائلة . ودام الصراع بينهم وبين الداء اسابيع لم تسفر عن نتيجة ايجابية . فالداء تغلغل في دمها وقتل فيه عناصر المقاومة والدفاع . وحين ذهبت لعيادتها عقيب انتهاء العلاج ، كانت قد دخلت في غيبوبة لم تفق منها الا حين اسلمت الروح .

والان تعود الي كلماتها : « ربما منعني الطبيب من مواصلة العمل فأخسر كل لذة في العيش » .

هل كانت تدري ان عملها في ذلك السرداب شبيه بالانتحار البطيء ومع هذا اصرت على مواصلته ؟

الم تكن تعلم — هي العالمة الفيزيائية — بتأثير الاشعاع الذري في مدمني البحث الذي نذرت له نفسها ؟

وهل تركت اميركا من تلقاء نفسها ام بناء على نصيحة الذين شعروا بانها تعرض نفسها لخطر اكيد ؟

هل كان ايمانها بالعلم اقوى من الخطر واقوى من الموت ، فاقتحمت بابه وهي واثقة من الفوز ؟ ام انها احست بانجذاب لا يقهر الى معالجة تلك الالات السحرية في المختبر ، وتسليط اضواء فكرها العجيب على ما تحويه من اسرار ، ولو كلفها ذلك صحتها وحياتها ؟

اسئلة ذهبت معها الى القبر ، وظلت بلا جواب ...

روز غريب

لبنان

ارق الشاعر ذات ليلة فاستعان على ارقه بالاستماع الى بعض الاغاني اللبنانية وفي اثناء ذلك كان ينظم هذه القصيدة :

جميل علوش

★

ألبنان هذي الاغاريد نبع … غزير من النشوة الدافقة
يفيض على خاطري المستهام … ويهمي على مهجتي الوامقة
صنوف من الاغنيات العذاب … تفجر بالنغمة الصادقة
أصيخ اليها والحانها … تجيش معبرة ناطقة
فاحسب لبنان يقبع دوني … كأني على قمة شاهقة

ألبنان قد تغني في الظلام … اليك هوى زاخر مسعر
وكيف لعمرك يهدا الفؤاد … ويسكن فيه الهوى الاكبر
ولي فيك الف رواح ومغدى … ونزوة شوق الا تذكر
وهذي الاغاريد تبعث في … حنينا بلقياك يستبشر
سلام عليك فما ذكرياتك … الا اريج الربى ينشر

تهز اغانيك اعماق نفسي … وترفعني للذرى العالية
وتفجر فيَّ ينابيع حزن … وحب وعاطفة سامية
أحبك حبا رحيبا عميقا … واحضن فيك المنى الزاهية
فقدت بلادي فهل فيك صدر … يضم جراحي وآلاميه
وهل فيك حضن فسيح حنون … يخفف من محنتي القاسية

ألبنان اني حبيس الرمال … فهل لي من وهجها مهرب
اقمت بدنيا الاسى والشجون … فلا أتغنى ولا أطرب
وراحت شموس المنى تتهاوى … سراعا وما ازف المغرب
تضيق بوجهي دنيا المنى … وكانت بعهد الصبا ترحب
وما شاب رأسي ولكنما … فؤادي من حزنه اشيب

ألبنان جرحي عميق عميق … فهل بيديك له بلسم
تجول ببالي فيخفق قلبي … وثغري من فرح يبسم
تحن وترحم من يرتجيك … وغيرك ويرجى فلا يرحم
فانت الحنان وانت الجنان … وانت طيوف المنى الحوم
تمر بثغرك فوق الجراح … فيبرأ جرح له تلثم

ألبنان انت العزاء الوحيد … لمن هده السام الخانق
وانت انطلاقة نفس الشجي … لدنيا يهيم بها الوامق
وانت اختلاجة قلب المحب … ونجواه والعشق والعاشق
فدتك الذرى والربى والصحارى … ورمل بها لاهب حارق
يطاول أرزك نجم السماء … فيا حبذا ارزك السامق

البنان ملء دمائي حنين   لطلعتك الحلوة الزاهره
لطود ذؤابته في السماء   ورابية غضة ناضره
لسهل يموج عليه العبير   وتنتشر النفحة العاطره
لدنيا يحوم عليها الخيال   وتنفجر القوة الشاعره
جمال يهيم به الشاعرون   وينسى به ناظر ناظره

وما انت داري ولكنما   رأيت فؤادي اليك انجذب
فما بين داري وبين جنانك   يا مربع الحسن اقوى سبب
يشدكما للجمال رباط   اذا لم يشد رباط النسب
ومنذا يفرق بين الاحباء   ان جل خطب وامر حزب
اليست ديارك في المفرحات   وفي المحزنات ديار العرب

البنان قد خنقتني الرمال   وأفق بها حالك قاتم
خطوت فضلت خطاي الطريق وضيعني الزمن الظالم
فمن خمس عشرة لم يرتعش   بصدري الهوى النشط العارم
نسيت بهذي الرمال السرور   وفارقني المرح الدائم
اجل نظرا فيَّ . اين الشباب   وأين الفم الضاحك الباسم

اغانيك تملأ نفسي حياة   كفيث يسح على سبسب
ففيها الهناء وفيها العزاء   من عيشنا القاحل المجدب
ونعمت اغانيك من مؤنس   ولا برحت واحة المتعب
ودامت ملاذا لصرعى النفوس   في مشرق الشمس والمغرب
فلولا اغانيك لم تتسع   مناحي الحياة ولم ترحب

البنان اني هنا ساهر   حزين بهذا الظلام العميق
احدث نفسي بنفسي لانني   وحيد فلا مؤنس او رفيق
أيا ليل طلت الا رحمة   بهذا الشعور الرهيف الرقيق
لقد ضاق شاعرك المستهام   بسهد ، اما لشعاع بريق
وكانت مدامعه من لجين   فصارت مدامعه من عقيق

البنان اني مغرى بما   تغنيه اطيارك الصادحة
« صباح » تفجر ما في النفوس الهيامى من النشوة الجامحة
« وفيروز » تضفي ظلال الخشوع   على الكون باكية نائحة
« ورندة » تنفذ قبل اللحون   الى القلب الحاظها الجارحة
فيا لك من جنة ما تني   بها الحور غادية رائحة

عسى الله يأذن لي بالقفول   الى بلدي هادئا آمنا
فأنقع منك غليلي ومنه   وينفث صدري الجوى الكامنا
وأختار رابية او غديرا   وأفقا طليقا بها ساكنا
فاسمع ما شئت من اغنيات   أشد بها عزمي الواهنا
أرد بها لحظات الصفاء   واسترجع الماضي الظاعنا

الكويت   جميل علوش

الشاعر القروي

جوانب من سيرته بقلمه

بقلم عجاج نويهض

•••

اني جد سعيد ان ارى نوبتي اليوم في رحاب البركان العملاق « الشاعر القروي » ، رشيد سليم الخوري ، الامام في الشعر الفحل المنافح عن الثورات العربية القومية في جميع الساحات ولاسيما سوريا وفلسطين ، وراس الطلائع من حملة الالوية المفترسة ، ايام « الانتداب » على شكليه الفرنسي والانكليزي ، وهو في المضمار من اول صيحة حتى انطوى الانتداب ولكن طويت معه فلسطين وظهرت الرقطاء « اسرائيل » . كلا لم تطو فلسطين ، وما سيطوى هو اسرائيل ، باذن الله ، والسلاح والجراح .

ولكني لست طائفا اليوم حوله بصفته « الشاعر القروي » المنفرد بطرازه ، وصقره وبازه ، لست اتكلم عنه وهو يلتهب ويذوب . لست داخلا محرابه لانه غني قوافل الثورات جميعها في ارض العرب ، منذ ثورة سلطان الاطرش في جبل العرب سنة ١٩٢٥ الى هذه الساعة وبينهما نصف قرن . و« نصف قرن » كلمة رهيبة في النضال المستمر ، فاذا سمعتها في جدول اعمار الناس ، سمعت لها جلجلة ، فما بالك اذا شاهدتها حلقات آخذا بعضها برقاب بعض ، وادواتها : المعركة والشهيد ، والبندقية ، والقنبلة ؟

وانما احاول جهدي الضئيل ، ان آخذ واعطي معه بصفته الانسان العربي الذي سلم حياته كله وثبات : « رشيد سليم الخوري »، من قرية لبنانية اسمها جميل « البربارة » ، ساحلية بين جبيل والبطرون ، ونعم ، ان اسم هذه القرية النجيبة كأنه هو نفسه اسم « القديسة بربارة » الشهيدة المكرمة منذ القرن السابع ، ولكن اذا تقدمنا في الاستطلاع بضع خطوات ، وجدنا ان الدكتور انيس فريحة صاحب كتاب « اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » يرجع ان هذا الاسم سامي آرامي ومعناه « البدوي » ، وقد سمى الآراميون البدو بهذا اللفظ ، وينتهي الى القول ان من الممكن ان تكون جماعة من البدو القدماء نزلوا في هذه المحلة واستوطنوها فسمي المكان باسمهم .

غير ان « الشاعر القروي » في رأيي ، هو رغم بروقه ورعوده في العالم العربي ، وشعره الوطني القومي ، اشبه بناسك ، لبعده من ان يقف في طريق الاضواء ، وعلى التلال ، وحتى ديوانه الضخم الذي سنحدثك عنه عما قريب ، لا رسم ولا صورة له فيه بالمرة . فكان « الشاعر القروي » قال للناس : ان شئتم ان تعرفوني ، فهذا ديواني ، شعوري هو شعري ، وكفى . لكنه ، حفظه الله وابقاه بركانا عربيا ، لما جاء يصدر ديوانه منذ اكثر من ٢٣ سنة في البرازيل ، في مطبعة عربية هي في نظري قلعة ثقافة على كل حال (١) ، خشي ان يسأل الناس غدا اسئلة مختلفة عنه ، طويلة وقصيرة ، صحيحة ومعوجة ، صائبة ومخطئة ، فيضيع الكثير من حقائقه ، وهذا لا يرضاه هو لنفسه ، ولا ترضاه أمته له ، فقرر ان يضع ترجمة حياته ، فوضعها فجاءت في نحو من ٥٥ صفحة ، حوت اموره من الالف الى الياء ، ولا اجد ان شاعرا من وزنه من شعراء العرب فعل مثل هذا ، وانك لتعجب عند قرائتك هذه الترجمة الوضاءة الصريحة المحيطة ، ان ترى « الشاعر القروي » قد افرغ كل شيء من جعبته حتى ١٩٥٢ .

فلكي نعرف حقائق رشيد سليم الخوري من فمه وقلمه ، ونتكلم عنه على مسمع منه ، لا اتناوله شاعرا ، بل انسانا عربيا ممتازا ، وارجو ان يتيسر لنا ان نتناول في اول فرصة غيره من انداده والجائلين في ميدانه ، دون ان اسميهم الان اجتنابا للتطويل . غير اني لا استطيع المضي بعملي هذا ، دون ايجاز القول في الديوان ليكون القارىء الكريم على بينة من هذا .

« فالديوان » هو في الواقع مجموعة دواوين « الشاعر القروي » السابقة منخولة ، مرتبة ترتيبا جديدا، تشغل نحو ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير ، ورقها صقيل ، حرفها واضح مشرق ، وبعض الحروف محركة ، والفسح بين الابيات كتلك التي بين احواض الازهار في الحدائق المياسة بالاقحوان والنسرين . فتقرأ الصفحة الى العشر صفحات الى العشرين والخمسين والمئة ، وانت مستمتع منتش ، طالب الا تقف القافلة .

صفحة الوسمة في غاية البساطة :

ديوان القروي

رشيد سليم الخوري

فاذا قلبت صفحة الوسمة هذه ، واجهتك صفحة كأنها جدول او قائمة ، هي اسماء الدواوين السابقة . ولا بد لي ان انقلها اليك مع التعريف بكل ديوان ، والتعريف للقروي .

« البواكير » : منظومات متعددة الاغراض مختارة من ديوانيه « الرشيديات » و « القرويات » المطبوع اولهما سنة ١٩١٦ وثانيهما سنة ١٩٢٢ في صنبول ـ البرازيل .

« الاعاصير » : مختارات من شعره الوطني ، طبعت في صنبول سنة ١٩٣٣ وفي صيدا ١٩٤٨ .

« الزمازم » : مختارات من منظوماته الحماسية بعد طبع الاعاصير .

« المحافل والمجالس »: ما انشده في شتى المناسبات الاجتماعية .

« زوايا الشباب » : من شعره الغزلي .

« الموجات القصيرة » : خواطر اكثرها مما كان ينشره نثرا بعنوان « شرر الفكر » .

« الازاهير » : اضمامة معظمها من الشعر المثلاني .

واعتقد اني اقدم جانبا مهما من الصورة الخلقية النقية المغروزة فطرة في طبائعه ، بنقلي الفقرة الاولى من ترجمة حياته الى ١٩٥٢ ، اي سنة اخراج الديوان الجامع الكبير ، وهي ١٥ سطراً او صفحة واحدة كاملة .

قال الشاعر القروي :

« طالما رغب الي غير واحد من اخواني الادباء في الاقطار العربية وسواها ، ان اوافيه بسيرتي ، فكنت اضيق بهذه المحاولة واعتذر . حتى سنحت لي فرصة طبع ديواني فبعد ان رجوت صديقا من اعلام الادب ان يضع مقدمته ، بدالي فقلت غدا ينفسح مجال النقد والتشريح ، وتتعثر الاقلام بين الحقائق والاوهام ، وليس اعرف بي مني . فما اولاني بأن ازود الراغبين بما يكفيهم عناء البحث ، وريب الظن ، ومذاهب التأويل وسيرون انني بايقافهم على مراحل حياتي ، والهبوط بهم الى حنايا نفسي ، قد سلمت اليهم المفاتيح ، بل اشرعت لهم الابواب، ولم اشترط عليهم الا ان يلجوا المخادع بقلوب نقية ، والا يستبصروا بغير النظارات البيض المغسولة ، واشهد الله اني لم ازين لهم باطلا ، ولم اعرض زائفا ، بل اكاد اشبع فضول كل طلعة ، جاسوسا كان ام جاسوسا . وربما سهوت عن بعض ما يجب اثباته ، فمن اضاف الى حسناتي فمن عنده ، ومن زاد في سيئاتي فلعله اقوى حافظة او اصدق نظرا ». انتهى .

— مولده ١٧ نيسان سنة ١٨٨٧ وهذا التاريخ وقع فيه جلاء الفرنسيين عن سوريا آخر الحرب الثانية ، فارتجل شاعرنا بيتا فريدا قرن فيه بين التاريخين : تاريخ ميلاده وتاريخ الجلاء ، فقال :

ان فاخر الناس بأعيادهم   فعيد ميلادي عيد الجلاء

— اصل اسرته من « الشوير » المتن الشمالي ، فنزح جده اسعد واخاه مشرقا بعائلتيهما الى « البربارة» ولم يذكر تاريخا لهذا النزوح . وقال : « وكان جدي طنوس طبيبا ، نقل بخطه عن ابن سينا عدة كتب وجلدها بيده ، وكان يضيف اليها كل ما يقع عليه من مستحدثات الطب ولا يحجم عن القيام ببعض الجراحات البسيطة .

اخذ والدي عنه مبادىء القراءة ، ثم طلب العلم في مدرسة « عبيه » الاميركية ، فالكلية السورية الانجيلية ، الجامعة الاميركية اليوم ، ثم علم بضع سنوات في طرابلس وصافيتا وعكار ، واحترف بعد زواجه التجارة بالتبغ والحرير وغيرهما ، فاصاب ثروة معتدلة . وقد خلف جدي في مشيخة القرية ، وعرضت علي قبيل وفاته فرفضتها، وكان يجيد النظم والنثر بعض الاجادة » . انتهى .

— « قيصر » اخوه الشقيق ، « الشاعر المدني » .

قال الشاعر القروي : « يصغرني باربع ونصف . كان الاول في الدروس والمسابقات الرياضية ، وحسن السلوك، طيلة الاربع سنوات التي قضاها طالبا في مدرسة الفنون في صيدا . زاول التعليم عند الاميركان في جبيل والبترون وطرابلس ، يشتغل في محل تجارة في صنبول » .

ثم يذكر القروي سائر اخوته على هذا الغرار : فكتوريا وفيليب وفؤاد واديب ونديم ودعد ويذكرهم بخصائصهم .

— اول ما تتلمذ القروي ، الشهاب الثاقب ، على معلمه الشاعر قيصر وحيد الغرزوزي .ثم تعاقب المعلمون، وانس المعلم ايليا من تلميذه اللامع وهو في العاشرة رغبته في مطالعة المجلات العلمية والادبية التي ترد على المدرسة ، فعني به عناية خاصة . قال القروي : « وصار يكتب لي الخطب والاشعار فاستظهرها واتمرن على القائها بصوت تردد صداه كهوف الوادي » .

— لما بلغ الثالثة عشرة طلب العلم سنتين في « مدرسة الفنون الاميركية في صيدا ، ثم سنة في مدرسة سوق الغرب الاميركية ، وبالتالي انهى الاستعدادية في الكلية السورية ببيروت ، ثم انصرف الى التعليم سبع سنوات متوالية في المدارس الاميركية في طرابلس ، ومدرسة بشمزين الوطنية ، فالكلية الشرقية في زحلة ، فمدرسة الانكليز في الشوير ، فمدرسة الاميركان في سوق الغرب التي سبق له ان تعلم فيها سنة ، وقال ان سبب كثرة تنقله بين مدارس عديدة ، رغبته في اختيار افضل الشروط .

— وحدثنا « القروي » عن « لماذا ومتى » هاجر ، فقال ان نشرت له جرائد بيروت بعض القصائد الوطنية الثائرة ، على عهد « المتصرف » يوسف فرنكو باشا سنة ١٩١٣ ، فما قرأها عمه اسكندر ، وهو قبطان في الجيش البرازيلي ومهاجر منذ ١٨٩٠ حتى شرع يرغبه في الهجرة ، وعمه يعشق الشعر الحماسي الوطني ، فجعل القروي يتردد في الاجابة وعمه يزداد الحاحا عليه ،واخيرا ارسل اليه عمه خمسين ليرة انكليزية ليسافر في الدرجة الاولى . وكان والد القروي قد توفي سنة ١٩١٠ رحمه الله ، مخلفا ديونا جمة « لفرط حيائه من لا » وتوزيعه ثروته قروضا لم يستوف منها فلسا ، فوطن القروي نفسه على الاغتراب حتى اذا جمع من المال ما يفي بديون والده ،عاد الى لبنان الحبيب الفتان . فركب البحر في آب ١٩١٣ لا في الدرجة الاولى ولا الثانية ، بل في الثالثة، لان اخاه قيصرا ابى الا ان يصحبه هو وزوجته وطفلة رضيع .

ـ ويصف لنا القروي كيف ودع لبنان اوائل صيف ١٩١٣ ، ولا سيما وهو يعلم في مدرسة سوق الغرب بين « العود » حبيبه و « القنديل » والصنوبرة وجداول المياه، والندى والصباح والطيور ، التي تباكره بالزقزقة . ثم قال تحت عنوان « معارفي » : لست من العلم في شيء ، ولكني اميل الى مطالعة الاخبار العلمية قبل اية قصيدة ، واحسن القصص عندي المترجم عن الروسية وما شاكله بساطة وعمقا . اما قول القروي الناسك المتواضع انه ليس من العلم في شيء ، فلا نوافقه على التواضع الى هذا الحد ، فالادب فيه قد يكون اغلب على دقائق العلوم وما اليها . وقال انه لم يتعلم من اللغات الاجنبية غير نزر من الانكليزية اهمله فنسي اكثره ، ونزر من البرتغالية اقل . وقال : « وما اكملت قط مطالعة كتاب غير عربي . اما ام اللغات فاتمنى لو تجدد عمري لاشبع نهمي من درسها ، واغترف من كنوز حكمتها المخبوءة عن اكثر ادباء العربية ، ولاسيما المغتربين » . ما اجمل هذا القول واصحه !!

ـ ثم انتقل القروي الى ناحية اخرى ، فحدثنا عن « صفاته » وقال انه لا يترفع عن العمل مهما يكن متواضعا . وقال : « احب الاطفال الرضع حتى لاجلس الى سرير احدهم ساعة لا امل ولكم سبقت امي الى ضم اخوتي وتقبيلهم فور غسلهم ساعة ميلادهم . ولا تزعجني جلبة الصغار وهم يلعبون حولي ولو كنت اطالع او اكتب . فاذا تشيطنوا نفطت » .

ـ وقال « يكهربني الجمال على انواعه » . وقال : اغضب ولا احقد ، وكثيرا ما ارضى في الحال . جريء صريح حتى الخشونة ، بل الفظاظة احيانا » . وحدثنا عن خويصات نفسه كلها مما لا ترى نظيره في سيرة رجالات الادب غيره .

وفي مدى الاربع والخمسين صفحة ، راح القروي يشرح لنا زوايا خلقه ونفسه وطبعه . وهذه عناوين الفقرات التي اشتملت على هذه الموضوعات :

ايماني ـ تديني ـ تعبدي ـ تسليمه (لله) ـ حبي ـ حبي الاول ـ لماذا لم اتزوج (٢) ـ شغفي بالطبيعة ـ شعوري الوطني .

ولما كان الشعور الوطني في القروي ، هو السر الكيميائي الذي ينبعث منه شعره الفتاك ، فلا بد ان ننقل هذا برمته وهو ١٥ سطرا من سطور صفحات الديوان .

« امتي انا مكثرا . ووطني انا مكبرا . اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكأنما اكلوا جارحة ، من جوارحي . واذا هدروا عربيا في لبنان او تطوان فكأنما شربوا نغبة من دمي ، وكأن كل بلد قوي من بلادي ساعدي مفتولا . وكل شعب خامل فيها زندي مشلولا . بل ما اعد ذاتي الا خلية في جسد امتي . انا واحد من سبعين مليونا من العرب (اصبح هذا الرقم اليوم مضاعفا) كل واحد منهم انا . فينبغي ان احبهم سبعين مليون ضعف حبي لنفسي ، من افتداهم فكأنما احياني سبعين مليون مرة . ومن خانهم فكأنما قتلني مثلها . ولذا تراني اصب جامات غضبي على الظالمين ، وصنائع الظالمين ، والصابرين على الظلم بعنف يدرأ الموت والعار لا عن نفسه فحسب ، بل عن سبعين مليون نفس كنفسه محشودة فيه ، شاغلة عالم الارض من لا نهاية روحه . وقدر الشعور يكون الالم . ومن فقد الغيرة انكر الغضب . وما استكثر اللعنة الا من استقل الخيانة . وما ياسر السفاحين الا من استهان بدماء قومه فحسبها ماء كدمه .

ـ وتكلم القروي عن « اصدقائي واعدائي » فقال :لم اعتد قط ، ولا تربصت بخصم ، ولا فكرت في الكيد لمن مسني ضره » . وعن « اقتصادياتي » فقال : « ما هاجمتني الفاقة الا واوهت قرنها بحائط من عناية الله حولي ... ولا اذكر اني اقترضت الا مرة » سنة ١٩١٨ بالحاح من صديقي جرجس موسى الخوري رحمه الله اثر جراحة كنست جيبي ، ومنذ بضع سنوات الهم الله صديقي الياس عاصي فسعى الى ترجمة وبيع كتابي« حضن الام » ، فاوسع علي ادبا ، ومادة تجمد اكثرها في بيت شريته في البر ، فاورثني المتاعب والخسائر . ثم تناوبتني العلل فاكرهتني اواخر عام ١٩٥٠ على ان ابيع من ضنائني عودي وكتبا نفيسة جلها هدايا من خلص اخواني ، لاستعين بثمنها على رحلة رحلتها الى الارجنتين والحمى تشوي جسدي عسى ان اتزود من كرومها نشاطا يعينني على الوصول الى وطن الارز . وكان صديقي البار المذكور قد شفع مأثرته الاولى بثانية ، اذ تنادى ونفرا من كرام الاصدقاء لشراء بيت لي في صنبول ، وبلغ ما جمعوه حوالي ثلاثة ملايين قرش لبناني ، ولكنه عبثا حاول اقناعي بقبولها فاعلنت في احدى المذاعات شكري واعتذاري ، وايثاري قبرا في وطني على قصر في غربتي . وطلبت رد المال الى المتبرعين ، حتى زفت الي البشرى بتحويله الى مشروع طبع هذا الديوان ، فقبلت وشكرت ، وعدت حامدا هذه الفرصة السعيدة التي اتاحها الله لي باصدقائي لتحقيق اعز الاماني الشخصية الباقية في هذه الحياة » .

ـ وقال القروي تحت عنوان كيف انظم الشعر ؟ :

« في اية ساعة واي مكان . في يقظات الليل . في الشارع . في الحافلة . على المائدة . اثناء الحديث ادون الخاطرة او البيت . لم انظم ليلا من القصائد التي تعجبني غير « حضن الام » و « تحية الاندلس » . ولعلهما خير ما نظمت . اما سائرها فنهارا في سفراتي او في الحدائق العامة او الضواحي الهادئة .اتزود غذائي من الخبز والجبن والبيض المسلوق وزجاجة ماء قراح . وانسطح على العشب او الصخرة الملساء في فرجة من غابة ،او مطمئن من ربوة ناضيا عني لاشعة الشمس . واغيب في مناجاة لذيذة .او اتنزى غيظا والما واسى اذا كان الموضوع وطنيا .» ثم

يستطرد في وصف بقية حاله هذه باكثر مما وردنا ،وكله كشف حقائق ذاتية ومنها تتالف شخصية « الشاعر القروي » البركاني . وكنا نود استيفاءها كلها ولكن ضاق عنا المجال .

ثم ذكر في نصف صفحة « رايي في الشعر » .وبسط في صفحتين « لماذا غلبت الحماسة على شعري » .وفي ما يقارب الصفحة بسط لنا زاوية عنوانها « صدى اليأس » . ووصف لنا مقامه ومقام اخيه قيصر في «الريو دي جنيرو» وفتوق الحرب العالمية الاولى ،وكيف استطاع مع اخيه وفاء بعض الدين المتخلف عن والدهما .وهنا يعرفنا بحبيبه الاول والاخير (عوده) الذي جاء دمشق من لبنان قبيل هجرته حتى اشتراه وجلبه معه الى البرازيل ،فكان « العود » بلبل افراحه ،والآسي له في احزانه ،ومنقذه في ازماته وقت حاجاته .وكل خطوة من هذه المراحل تريك نفس القروي نفسا مؤمنة ،ابية شامخة .

ـ وفي الخمس عشرة صفحة الاخيرة من هذه السيرة يحدثنا عن اموره الاخرى وكلها مهم ،من سفر « امي واختي » الى البرازيل ،و« الجهاد الوطني » في المهجر بعد الحرب الاولى ، واشتغاله التجاري بصنع « الارب » (ربطات العنق) ثم وصل اليه كتاب من السيدة « نظيرة زين الدين » صاحبة كتاب « السفور والحجاب » فاحدثت مطالعة هذا الكتاب في نفسه اشياء عميقة .ثم حدثنا عن « مقياس الوطنية » ،و« التعصب الوطني » ،و « وطنية العربي » و « العروبة والبرامج والاحزاب » ،و « لغة العروبة » و هنا تراه شعلة ،وبالتالي « نداء » الى « فتيان العرب» .

وترى في اخر السطر :

صنبول في اول آب ١٩٥٢ وفق الحادي عشر من ذي القعدة ١٣٧١ .

هذه اشبه بنقدات طائر لا اكثر ،وعلينا ان نستوفي امورا اخرى تتعلق بتكريم « الشاعر القروي » فيدمشق والقاهرة ،واحتفاء المحافل الوطنية بشخصيته ،وعلينا ايضا ان نتكلم عن انطباعاته منذ عاد الى وطن الارز ،ونرجو ان نتم هذا في فرصة قريبة .

ولما كانت قصيدة « الشاعر القروي » ،« سلطان الاطرش والتنك » ،قد ذاعت في العالم العربي والمهاجر وحفظها طلاب المدارس كما قلنا ،وذلك سنة ١٩٢٥ فاننا نورد هنا بعض ابياتها ، وهي كلها ٣٨ بيتا للذكرى :

خففت لنجدة العاني سريعا ... غضوبا لو رآك الليث ريعا
وحولك من بني معروف جمع ... بهم ـ وبدونهم ـ تفني الجموعا
كأنك قائد منهم هضابا ... تبعن الى الوغى جبلا منيعا

وثبت الى سنام التنك وثبا ... عجيبا علم النسر الوقوعا
وكهربت البطاح بحد عضب ... بهرت به العدى فهووا ركوعا
كأن به الى الافرنك جوعا ... وسيفك مثل ضيفك لن يجوعا

تكفل للثرى بالخصب لما ... هفا برقا فامطرهم نجيعا
وفجر للدماء بهم عيونا ... تجاري من عيونهم الدموعا
فخر الجند فوق التنك صرعى ... وخر التنك تحتهمو صريعا

فيا لك غارة لو لم تذعها ... اعادينا لكذبنا المذيعا
ويا لك « اطرشا » لما دعينا ... لثار كان اسمعنا جميعا
فتى الهيجاء لا تعتب علينا ... واحسن عذرنا تحسن صنيعا

راس المتن ـ لبنان

عجاج نويهض

---

(١) هي مطبعة صفدي التجارية ـ منظمة جميل صفدي

(٢) قال القروي : «كان شبابي وقفا على اخوتي الاصاغر، فلما كبرت بي السن كبر عقلي ولم يكبر حبيبي ، ولو كبر حبيبي لما نفعني كبر عقلي ».

بسمة الامس

*

ذرذرتــه اربـا ، بعشرته رقعا
شعرا كتبناه في سفر الجمال ، معا
انكرت كل هوى ، لـم تبق قافية
في دفتر الحب الا جفنها دمعا
احلامي الزهر ما عادت تهدهدني
ما عدت المح للاحلام متسعا
والامنيات شجاها الحزن فانحطمت
والقلب لامسه التذكار فانصدعا
قولي :جننت .دعي بعض الذي حفظت
لي كبريائي ، لا تغري بي الطمعا
هل يجرع الذل من جرعته شمما
والذل ارخص ، في الاهواء ، ما جرعا
يا بسمة الامس ، اين الصفر يغمرنا
والحب بات ، من الاشجان ، ممتقعا
اين الهنيهات نحييها ونقتلها
والامسيات تبيح الاثم والورعا
اين انسيابك فوق الثغر اغنية
يوم السماحة املت ، والندى سمعا
وهدبك الشاعر الموهوب انظمه
سحرا ، وينظمني في سره متعا
كل الذي كان ، لم ينقذ لنا املا ،
والوجد فرق ما بالامس قد جمعا
يا بسمة الامس ، عل الذكريات غدا
تحيي الاساطير او تستحضر البدعا
لئن بعدنا ، فان الكبريا اذنت
وان قربنا ، فان الشوق قد شفعا

فوزي عطوي

الشعر الفلسفي عند دانتي واليوت

بقلم الدكتور عبد القادر محمود
استاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة بالخرطوم

* * *

عند دانتي

الحديث عن دانتي (١) ممتع ورائع حقا ، باعتباره شاعر عصر النهضة الممتازة .. روحها الوضيء ، ووجدانها المشرق ، وفلسفتها النابضة بأعمق الافكار فيما وراء الحياة ، وبخاصة اذا كان مدخل هذا الحديث بلسان « اليوت » . والحديث عن اليوت (٢) ، مقرونا او مقارنا بدانتي ، باعتباره مثلا رفيعا اقتدى به ، وترسم خطاه ، وعاش في اجوائه - لا ريب يعطينا الجديد في قضية الشعر الفلسفي ، ويضيف الطريف حول تفاعل الفكرة الفلسفية مع الاحساس الشعري ، بما يبرز القيمة الجمالية للصور الشعرية المقروءة او المشهودة المسموعة على المسرح الكبير .

يقول اليوت (٣) في مقالاته المختارة عن دانتي « فيما يخص علم او فن الكتابة الشعرية ، فانني قد تعلمت من قراءة جحيم دانتي ، ان اعظم الاشعار ، هي ما كتبت في كلمات مختصرة اختصارا شديدا ، مع الصرامة التامة في استعمال الاستعارة والتشبيه وجمال اللفظ ورونقه » « وانا حينما أؤكد انه يمكننا ان نتعلم من دانتي كيفية صياغة الشعر ، اكثر من اي شاعر انجليزي ممتاز ، فانني لا اعني بذلك ، ان منهج دانتي هو الطريق الوحيد الصحيح او ان دانتي اعظم من شكسبير او اي شاعر انجليزي اخر ... » ويخلص اليوت من حديثه الى ان لغة دانتي رغم انها عادية ، الا انها متكاملة . وهذا واضح تمام الوضوح في رائعته الخالدة : الكوميديا الالهية ، حيث تلتحم الفلسفة بالنسيج الشعري فتشد من خيوطه وتتداخل مع مكوناته ، وتصبح جزءا لا يتجزأ من هذا التنسيق المبدع الذي يكون في مجموعه ذلك الانتاج الفني العظيم . من هنا ندرك كيف تتفاعل الفكرة الفلسفية مع الوجدان الشعري فتخصبه وتمنحه ثراء منقطع الوصف والنظير ، حيث تتخلل عناصره ، وتنبث في كل ذراته وشحناته قبل ان تمتزج بها جميعا وتتحد معها كلها . وما هذا السلوك الا تطابق متكامل للقضايا الميتافيزيقية ، وتجسيم للرؤى الخلاقة ، وتركيز للفكرة الفلسفية في بؤرة شعورية تعتمد على الحدث قدر اعتمادها على الشعور الصادق والتأمل البصير (٤) .

وعلى الرغم من ان الشعر سواء في العالم الاوربي او العربي قد سار في خط منفصل عن الفلسفة احيانا كثيرة ، وعلى الرغم من ان الفلسفة حصرت نفسها كثيرا في الفكر المجرد ، فاننا (٥) نجد في التراث الانساني التحام الخطين في الشعر الميتافيزيقي ، الذي لا يعتمد على الجدل قدر اعتماده واستناده الى الملاحظة الباصرة ، التي تستمد وقودها وقوتها من المشاهدة النافذة للمرئيات المختلفة .

« اليوت » (٦) هنا يرى في هذه النقطة الشائكة ان الشعر لم يكن في يوم من الايام اصلا للفلسفة ، ولم يضع مطلقا الشكل الاساسي لها لان الفلسفة كما يقول بحق ، لا تستند اليه في مراحل التطور الفكري والعكس هو الصحيح ، فلقد غزت الفلسفة ميدان الشعر واقتحم النظر العقلي - وهو لسان الفلسفة - محيطه ، بعد ان تبلورت قضاياها ورسخت اتجاهاتها الفكرية واصبحت في وجدان النابغين من الشعراء والادباء .

من هنا ندرك ان دانتي صاحب الكوميديا ، قد افاد فائدة عظمى من الفكر الفلسفي والتأملات الفلسفية التي سبقته ، وفي مقدمتها « اتولوجيا » افلوطين ، واعترافات اوغسطين ، ومدينة الله لاوغسطين ايضا ، وتأملات الاكويني . ولا شك ان اية محاولة لفصل تيار هذا الفكر الفلسفي عن شعر دانتي ، فيها اساءة للدراسات الفنية والفلسفية معا ، قبل الاساءة الى دانتي في ذاته وافكاره ووجداناته .

كان دانتي صاحب حس رقيق ، جعله شديد التأثر ، حتى ليصدق عليه ما نقوله عن الانسان ذي الحساسية الشديدة من ان اعصابه فوق جلده . وكان كثير البكاء(٧) في حجرة تسمى غرفة الدموع ، وكان من فرط الحزن يتحرك رأسه ، كأنه شيء ثقيل لا حياة فيه . بكى دانتي وهو طفل ، وهو شاب ، وهو كهل ... وبكى عندما كتب الكوميديا الالهية ، وعندما شارك المعذبين آلامهم في الجحيم ، وعندما عاتبته « بياتريتشي » معشوقته في الحياة الدنيا والاخرة ، وهو يجوس عتبات المطهر ، وبكى عندما سمع غناء الملائكة في « الفردوس » .

ولما كان دانتي ، قد عاش غريبا منفيا بين قومه ووطنه ودنياه فقد كان في اعماقه يود الانتقام من كل من اساء اليه من قريب او بعيد . لهذا (كان حب الانتقام عنصرا هاما في شخصيته ، وان لم ينتقم هو من احد في حياته الواقعية (٨) ..) مع ان الله ذاته ، (يغضب من خطايا البشر ، فيسلط عليهم عذابه وانتقامه) (٩) ، ولم يعترف دانتي في حياته العريضة الحافلة بكل صراعاتها ، في وطنه وفي منفاه ، وفي نضاله مع الكائنات العليا والدنيا بغير قوة الروح وقوة الفن .

لم يكن دانتي اول من تناول في كوميدياه ، عالم ما بعد الحياة الدنيا . فالمصريون القدماء عرفوا في تراثهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من عذاب ، وتصوروا الفردوس

بما فيه من نعيم وسعادة ، وعندهم اوزيريس راعي ميزان العدالة في الدار الخالدة ، وفي ديانة « بابــل » تهبط عشتروت « الى الجحيم لتبعث تاموز » الى الحياة ، وعند اليهود ارض الظلام والعذاب تحت الارض ، وفي ديــانــة فارس جهيم ومطهر وفردوس ، وفي الالياذة اليونانيــة عالم الموتى والابالسة ، وانهار الجحيم ، وفي المسيحيــة رؤى القديسين عن العالم الاخر ، وفي الاسلام مشاهــد محتشدة لصور العذاب والنعيم ، وشجرة الزقــــوم ، وارائك النعيم ، وفي الاسلام ايضا مشاهد ورؤى الاسراء والمعراج ، تلك التي ادهشت الفكر الفني والادبي والفلسفي، حتى ان العالم المستشرق الاسباني بلاسيوس (١٠) ، يؤكد لنا في كتابه « العلم الاسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الالهيـــة » ، تأثير التراث الاسلامي في الاسراء والمعراج ، ورسالة الغفران للمعري ، وبعض مؤلفات ابن عربي ، في الكوميديا الالهية لدانتي في عوالــم الجحيـم والمطهــر والفردوس .

ان رحلة الكوميديا الالهية بدات مســاء الخميس ، ليلة الجمعة ٧ ــ ٨ من ابريل ١٣٠٠ م وانتهت يوم الخميس ١٤ من ابريل ١٣٠٠م ، حيث استغرقت زيارة الجحيم حوالي يومين ، والمطهر حوالي اربعة ايام ، والفردوس نهارا واحدا فقط ، وكان الزمن الباقي للعبور بين الجحيم والمطهر والفردوس (١١) . وتمثل الجحيم الشباب الحــر الطليق المتكبر الثائر ، كما تصور سورة الغرائز الدنيوية البشرية لاشباع ميولها وهي الخطيئة والعذاب والمأساة والحياة الدنيا ، ويمثل المطهر التجربة والنضج والفكر والتوبة والتطهر والامل في حياة خالدة وضيئة ، بينمـا يمثل الفردوس الكهولة والصفاء والحرية والخلاص والنور الالهي العظيم ... وهي بكل اناشيدها النابضة المتدفقــة الحية ، مرآة الحياة وملحمة الانسانية الكبرى .. وكأنما اراد دانتي في صياغتها من نفسه ومشاعره وروحه بكــل انطباعاتها ، ان يضع كتابا جديدا يهدي البشر الى سواء السبيل .

سلك دانتي نهجا اقرب الى النهج الصوفي في علاج النفس البشرية ، لتصعد من درجات النفس الغريزية الى درجات النفس اللوامة المتطهرة المتحررة ، الــى النفــس المطمئنة الراضية المرضية . لهذا كان يرى ان تغيير العقائد والقوانين والنظم لا يؤدي الى اصلاح حقيقي . وادرك ان تطهير النفس وتحرير الروح باطنيا او جوانيا كما يقــول استاذنا العالم الجليل الدكتور عثمان امين (١٢) ، هــو الطريق الصحيح للسعادة ، في حيــاة النقاء والصفــاء والعدالة .

ان امامنا حقيقة واضحة تؤكدها الكوميديا الالهيــة بوجه عام في سائر اجزائها وفقراتها وهي ان العقل البشري لا يمكنه الاحاطة بجوهر الوجود او اسرار الوجود (وانه لمجنون ذلك الذي يأمل في عقلنا اجتياز الطريق اللانهائي) (١٣) . ودانتي في هذا يتفق مع وجهة نظر الفيلسوف اوغسطين في الفلسفة المسيحية ، والفيلسوف حجــة الاسلام الامام الغزالي في الفلسفة الاسلامية . كما يؤكــد مفهوم النظرية الافلاطونية القديمة ، انه بالتطهر يمكــن اجتيــاز العقبات نحو السكينة السماوية (١٤) . وفــي فلسفة الابدية الالهية والزمان الالهي ، ان سنة امــام الابدية (لا تزيد عن طرفة عين) (١٥) او كما يقول القرآن الكريم في محكم آياته « وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » آية ٢٢ من سورة الحج .)

ويناقش دانتي (١٦) قضية المسؤوليــة الاخلاقية الفردية والجماعية نرى ذلك واضحا حين يسأل دانتــي صاحبه فيرجيل ، عن السبب في خلو العالم من الفضائل. ويكون الجواب بان ذلك ليس مسؤولية السماء ، فليســت السماء هي السبب في كل شيء ، لان هذا معناه ، الغاء الارادة الحرة للانسان ، الذي يختار بارادته العاقلة طريق الخير والشر . امر اخر يؤكده دانتي في قضية المسؤولية الاخلاقية وهي ، ان البشر انفسهم هم سبب فساد العالم، فان النفس تخرج كالطفلة ساذجة وتمضي وهي مخدوعــة وراء خيرات الدنيا التافهة . من هنا كان ضروريا وجود قانون حاكم يرعى البشر ، لكن ليست العبرة في القوانين والشرائع ، بل في من يباشرها ويحميها ويطيعها مــن

(١) دانتي اليجيري : صاحب الكوميديا الالهية بثلاثيتها الرائعة (الجحيم ـ المطهر ـ الفردوس) عاش في النصف الثاني من القــرن الثالث عشر ، والربع الاول من القرن الرابع عشر (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م).

(٢) اليوت : الشاعر الناقد المتفلسف صاحب الملاحم الرائعــة الارض الخراب ، والرباعيات ، ذات الروح الفلسفية (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥م)

Eliot : Dante Selected Essays pa. 252 - 255
The Use of Poetry p. 23 - 25
وانظـر لـه .

(٤) انظر مقالنا : التفكير الفلسفي في الشعر العربي م٤ لسنة ١٩٧٣ مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ١ ـ ٤٨ وانظر كولن ولسن : الشعر والصوفية : الترجمة العربية لعمر الديراوي بيروت ص ٢٦٦ .

(٥) المصدر السابق (التفكير الفلسفي في الشعر العربــي) وانظر كتابنا الفلسفة الصوفية في الاسلام القاهرة ١٩٦٧ عن شعــر الحلاج وابن عربي وابن الفارض ٣٢٦ ـ ٦٠٤) .

(٦) المصدر السابق لاليوت في مقالاته المختارة .

(٧) ـ (١١) الدكتور حسن عثمان : الكوميديا الالهية تحقيق وترجمة : الجحيم ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦١/٦٢ وقــد قــدم الدكتور حسن عثمان بهذا العمل الجليل خير مثال للجهد الصادق ، والثمرة الطيبة لخير آية من آيات عصر النهضة .

(١٢) الدكتور عثمان امين : انظر له بالذات مذهبه في الجوانية في كتابه الممتاز الجوانية . واستاذنا الجليل تراث فلسفي فــي حياته وافكــاره واعماله .

(١٣) دانتي : الجحيم : الترجمة العربية الانشودة ٣/٧٧

(١٤) دانتي : المطهر : الترجمة العربية الانشودة ٣ فقرة ٨١

(١٥) دانتي : الجحيم : الترجمة العربية الانشودة ١٥/١٦٤/١٧٤

(١٦) دانتي المطهر : الترجمة العربية الانشودة ١٦

الحاكمين (١٧) .

وفي فلسفة المحبة العادلة يرى دانتي ان المحبة الصادقة هي المحبة الصادرة عن وحي او بصيرة العقل ، لانها هنا مستنيرة بنور الله ومتجهة اليه ، فاذا اعتدلت في محبة الدنيا فانها لا ترتكب خطأ ولا تتردى في شباك الخطيئة ، وواضح ان دانتي هنا على صلة بفلسفة سقراط في الفضيلة ، حيث ان الفضيلة معرفة فمن عرف لم يخطىء ولم يأثم ، عن طريق البصيرة العاقلة (١٨) .

وهو يرى ان المعارف الاولية فطرية في الانسان (اذ هي كغريزة النحل في صنع العسل) (١٩) لكن العقل الواعي هو الذي يحمي الروح من قبول المحبة الخبيثة ، ويحسم الموقف بالرفض بوحي من الارادة الباصرة العاقلة. ولا شك ان هناك صراعا بين تيارات الاهواء ومنطق العقل البصير ، ومن هنا كان الجزاء تبعاً لمدى قبول النفس للمضي في طريق المحبة طيبة كانت او خبيثة (٢٠) . ودانتي في حواره حول اثر الكواكب والنجوم والافلاك في حظوظ الناس منذ ميلادهم حتى موتهم ، ينكر كالقديس اوغسطين اثر هذه الاجرام السماوية في مصائر الناس ، وهو في هذا يتحدث عن نقطتين خطيرتين : الاولى : هي يقين الارادة الانسانية التي هي مناط المسؤولية الاخلاقية . الثانية ما يسميه بوفرة النعم الالهية التي هي فوق البصائر والمدركات الانسانية . وهي ما يسميه فلاسفة الاسلام بالتوفيق الالهي واللطف الالهي فيما نعتقد (٢١) .

عند اليوت

ذكرنا مع « دانتي » ، ان اليوت في مقالاته المختارة وغيرها، يؤكد انه تأثر فيما تأثر بالكوميديا الالهية في صياغة كثير من اعماله الملحمية المسرحية وغير المسرحية . فاذا اردنا التحديد الدقيق فانه يمكننا ان نقف قليلا عند بعض فقرات من روائعه الخالدات : الارض الخراب ، ورماد الاربعاء ، والرباعيات ، تلك التي تفيض بالروح الفلسفية المتأملة الناقدة .

اما الارض الخراب The Waste Land فهي اعظم ملاحم القرن العشرين . فيها يجسم اليوت ما نعانيه من يأس وقنوط ، وما نحس به من آمال خادعة ، وبعد عن حقيقة الحياة ، وجهل باسرار الكون وجوهر الوجود ، وانفصام في عرى المعارف والمدركات ، وخلط بين الحقيقة والخيال (٢٢) .

وقد صيغت هذه الملحمة الشعرية الرائعة في قالب موضوعي ، قوامه التعادل ، بين الفكر الفلسفي والعاطفة الجياشة ، وتخطت محاولته ميدان الادب الانجليزي كلفة لهذه الملحمة ، لتشمل الفكر العالمي الغربي والشرقي والعربي جميعا . وقد كتبت هذه الملحمة عام ١٩٢١ وظهرت عام ١٩٢٢ . كتبها اليوت في « لوزان » بسويسرا حين ذهب اليها للاستشفاء شتاء ١٩٢١ .

والارض الخراب في نظر اليوت هي اوروبا الحديثة، وسكانها هم الذين يكونون المجتمع الاوروبي بعد الحرب العالمية الاولى ، التي اخلفت انحلالا رهيبا في الاخلاق وبعدا فاحشا عن مقومات الحياة الصحيحة ، وايمانا اعمى بقوة المادة ، وتدهورا فظيعا في القيم الروحية . وقد اعترف اليوت ، بان كتابين رائعين كان لهما اثرهما المباشر من الناحية الوجدانية والفكرية في بعث هذه الملحمة وصياغتها ، وهما كتاب جيسي وستون عن اسطورة الاناء الطاهر ، وكتاب الغصن الذهبي الذي كتبه جيمس فريزر عن آلهة القدماء تموز البابلي ، وادونيس الفينيقي ، واوزيريس المصري (٢٣) .

في بداية الملحمة ، وسكان الارض الخراب يتمنون لانفسهم الموت العاجل ، يصور لنا اليوت ، انحدار الحياة، الى الهاوية التعسة ، حيث لم يعد هناك شيء به رمق من قدرة ، على ممارسة الحياة ، اي حياة .. حيث يقول :

« ان ابريل اشد الشهور قساوة فيه تخرج زهور الليلك من الارض الموات » .

فاذا توقفنا عند نهاية المقاطع الاخيرة من الملحمة وهي التي اطلق عليها اليوت عنوان « ما قاله الرعد » ، تعرفنا على تايرزياس الرحالة الذي يشبه اسمه ، وتماثل روحه، اسم وروح الكاهن الاعمى تيرزياس كاهن سوفوكليس ،في رائعته الخالدة « اوديب » .. حيث يهمس اليوت في اروع صورة ، على مشارف النهايات بعد طول طواف ...

« ... بعد ان القت المشاعل وهجها الاحمر
على الوجوه التي تتصبب عرقا ..
بعد السكون المطبق في الحدائق ..
بعد الآلام المريرة قرب الصخور الحجرية الصلبة
ثم العويل ... والصراخ ..
في السجون والقصور ...
قصف الرعد وهو يتردد صداه على الجبال البعيدة
الان : قد مات ، من كان حيا !
ونحن الذين كنا احياء ... نموت الان ..
في تباطؤ ثقيل .. قصير الاجل .. (٢٤) .

ومن الواضح ان الفقرات الاخيرة من ملحمة الارض

---

(١٧) القديس توما الاكويني S. Aq. Sum Theol. Icxv 416
وانظر ايضا القديس اوغسطين مدينة الله على استقصاء كامل كمصدر رئيس للاكويني ولاليوت معا .

(١٨) ـ (٢٠) دانتي : الجحيم : الترجمة العربية الانشودة ١٧ فقرة ١٠٠ ، والانشودة ١٨ الفقرات ٥٥ ـ ٦٧ وانظر للمقارنة والربط الفردوس لدانتي الترجمة العربية ١٩/٧ وانظر الاكويني المصدر السابق وانظر بالذات نظرية سقراط في الفضيلة والمعرفة : محاورات افلاطون: ترجمة استاذنا العالم الجليل الدكتور زكي نجيب محمود .

(٢١) دانتي : المطهر فقرة ٧١ من الترجمة العربية للدكتور حسن عثمان .

الخراب تشبه الى حد كبير نهاية تراتيل المطهر لدانتي في الكوميديا الالهية ، حيث يقول تيرزياس مع اليوت ، كما كان يقول فرجيل لدانتي عند النهاية ..

وجلست على الشاطىء

ثم القيت شباكي وخلفي الساحل القاحل ..

ترى هل في وسعي ان ابعث قدرا من النظام في هذه الارض؟

لقد تداعت قنطرة « لندن » ثم هوت وسقطت ..

اما هو فقد القى بنفسه

وسط النيران التي تطهر النفس ..

اوه .. ايها العصفور ...

متى اصير مثلك ...

اعطوا بسخاء ...

كونوا رحماء ...

واكبحوا جماح نفوسكم ...

واسعوا نحو السلام ...

السلام الذي يفوق العقل ...

السلام الذي يفوق الادراك .

السلام الذي لا يحد .

كان الراعي الصالح قد فشل في تحرير وتطهير الارض الخراب من عذاباتها ، وبعث الحياة في جنباتها .. فعرج الى الشاطىء ليصطاد سمكا .. بينما كان الجسر قد هوى ، ثم سقط الى الحضيض كرمز لضياع المدنية الاوروبية ، تلك التي شيدت على صروح مادية نخرهـا سوس الضياع .. واذن فلا نجاة لاوروبا الارض الخراب ، الا بالرجوع الصحيح الى نور المثل العليا ، ولا بد من التطهر عبر الاحتراق في نيران الندم والتوبة ..

ان هذا الذي يقوله اليوت ، هو هو ما يهتف به دانتي على لسان صاحبه « دانيال » في نهايات المطهر ..

من اجل هذا الصلاح

الصلاح الذي يقودك الى اعلى درجات السلم

ارجو ان تذكر آلامي في الوقت المناسب

ثم غاص مرة اخرى في النيران

النيران التي تطهر الجميع .. (٢٥) .

ويعود اليوت كما عاد دانتي من رحلة الجحيم الى المطهر .. يعود اليوت من رحلة الارض الخراب ، الى نسمات وضيئة ندية ... حتى ان الريح التي كانت تعيث فسادا في الارض الخراب ، عادت مع « رماد الاربعاء » الى نسمات هادئات ناعمات من نسيمات الخلود ..

... من هنا اخذت العظام تغني

وهي تستقبل عبير الحياة الاخرى

من جنة الله ...

وتقول فيما تقول ...

انها نهاية لا اخر لها ..

انها رحلة بلا نهاية ...

ختام كل ما ليست له خاتمة

حديث بلا كلمة

وكلمة بلا حديث ... (٢٦) .

فاذا وصلنا في النهاية مع « اليوت » الى رباعياته، وجدنا انها تمثل المرحلة الاخيرة من النضج الفكري والتصوف معاً .. انه يطوف بنا في عوالم من التصوف الهندي ، الى التأمل الفلسفي الاغريقي .. ومن معتقدات اوروبا المتدينة الى الفلسفات الحديثة .. (٢٧) .

في بداية الرباعيات يتحدث عن الزمن فيذكرنا بفلسفة « اوغسطين » حين يقول في اعترافاته الخالدة : ان الماضي هو الحاضر بالتذكر ، والمستقبل هو الحاضر ايضا بالتطلع والتوقع ..

يقول « اليوت » ...

الزمان الحاضر والزمان الماضي ..

كلاهما قائم موجود حي ...

في الزمان المستقبل ...

كما ان المستقبل ...

يضمه الزمان الماضي ..

وهناك عند مشارف الجنان الخالدات يعبر بنا الطريق الى عالم الخلود حيث يؤكد لنا اليوت انه يعرف — من قبل — هذا المكان قبل ان يترك حجب المادة او الجسد ، لانه عاشه وراه في لمحات روحه المشرقة ، تلك التي ارتفعت عن مواطىء اقدام الواقع الارض الدنيوي .. ان وقع الاقدام يتردد في مخيلتي

وقد اتجهنا الى ذلك الممر الذي لم نعهده من قبل .. لكننا عرفناه ...

هناك هناك عند الباب الذي لم يسبق لنا

... ان طرقناه ...

واذن فلا حل لنا ، اذا عدنا من رحلة النقاء والطهارة، الى ارض الواقع ، الا بالتشبث المطلق ، بالنور الازلي الممتد في اعماقنا نحو ،الشجرة الالهية ، والينبوع الروحاني ، ولا حل الا بالعمل الدائب لخدمة الانسان في كل مكان وزمان ، سعيا منا — (كما يقول اليوت ودانتي) — الى تحقيق الغاية العليا من حياتنا ووجودنا . ان اليوت ودانتي هنا ، وغيرهم ممن عاشوا فكرتهم في مختلف الدوائر ، يذكروننا بزرادشت القديم الجديد ، في رحلاته عبر الفكر الانساني ، مع امثال نيتشه والسوبرمان ،ومع رحلة النبي المصطفى ، مع جبران خليل جبران .

يقول « اليوت » ...

ان المحبة قلما تتغير ...

طالما انه لا يعنينا الان هذا المكان وحاضره ..

---

(٢٢) الدكتور فائق متى : اليوت ٩٦/١٠٠ .

(٢٣) اليوت المقالات المختارة النص ٢٣ — ٣٠ .

(٢٤) — (٢٥) اليوت : ملحمة الارض الخراب .

(٢٦) — (٢٨) اليوت : الرباعيات .

عودة الرؤى

احقـا ، حبيبـي ، عدنا التقينا ؟ احقـا ؟ وعـادت رؤانـا الينـا
وعـاد الجمـال يطـل سنيـا كمـا كان ..؟ عـاد يطل علينـا
وعـاد الربيـع ؟ وعـادت طيـور الربيـع تغنـي هـوانـا لدينـا
تغنيه آنـا وآنـا تصفق جذلى .. وتمضي ،اذا ما انتشينا
وتمضي لتروي حديثـا يطـول عن الشوق .. والشوق في خافقينا
وتمضي لتنثر عطـرا يضوع نقيـا تقطـر مـن مهجتينـا
وهـلا نسيمـات ذاك الغـديـر، اتذكـر ..؟ هـلا ستهفو الينـا
اذا مـا وردنـا هنـاك ، حبيبي ، نصافح مـاء الغديـر اللجينـا
اذا مـا خطـرنـا هنـاك تصافح تلـك الجنـان سنـا مقلتينـا
وكيف استبرنـا يشـع الصباح وكـل الظـلال تميـل علينـا
حبيبي ، وبـدر الاماسي هلا سيجمـل ، كالامس ، في ناظرينا
ويرنو طويلا .. وترنو النجوم .. وينصت ليـل الـى مـا روينـا
تهدهد سمعي ، حبيبي ، بهمس يدغدغ قلبـا .. ويدمـع عينـا
واغفـو .. وتصحـو رؤاي تغيـب دنيـاي .. لـم أدر كيـف وأينـا
احقا ، حبيبي ، عدنـا التقينـا؟ احقا ؟ وعـادت رؤانـا الينـا
وعـاد الجمـال يطـل سنيـا كمـا كان .. عـاد يطـل علينـا

اميرة الحوماني

وعلى الشيوخ ان يواصلوا كشوفهم ...
فهنا وهناك اصبحت امور عديمة الجدوى ..
وعلينا ان نواصل جهادنا ...
نحـو صراع آخـر ..
من اجل وحـدة كبـرى
وصلة اكثر عمقا

من خلال الزمهرين القاتم والدمار الفارغ ..
هـا هي الموجـة تنـادي .
والرياح تصيـح ...
ان بدايتي في منتهاي ... (٢٨) .

الخرطوم

عبد القادر محمود

اولاد الافاعي

بقلم سعيد ابو الحسن

ها انا ذا اخيرا بينكم . وهرعتم كلكم لاستقبالي . حينما غادرتكم مكرها لم تكونوا في وداعي . ولماذا تودعونني وانا الهارب المنهزم في معركة الحياة في بلدي ؟ هزمت لان احدا منكم لم يقدم لي مساعدة . لم ينظر الي احد منكم نظرة حب واحدة ، على الاقل . كنتم ترونني اصارع الفقر والالم والبؤس القاتم فتشيحون عني ،وكأن امري لا يعنيكم ــ كانت نظراتكم تدل على الحقد والتشفي ــ انكم لا تغفرون لواحد من صفوفكم تطلعه الى افق ابعد من افقكم المحدود . وحينما ينكب ، بسبب من خدمته مصالحكم ، وتفانيه من اجلكم ، تصبون عليه اللعنات :

ــ دعوه لنرى ما هو مستطيع ان يفعل !

ــ النملة عندما تقرر الطبيعة ان تهلكها تنبت لها جناحين !

ــ لم يعرف قدره فدعوه يواجه قدره !

ــ اراد ان يغير الواقع فانظروا كيف يسحقه الواقع ! ..

هذه نماذج قليلة من الاقوال التي كنت اسمعها او اسمع بها يوم حزمت امري وقررت المغادرة .

وها انتم اليوم تهرعون لاستقبالي . فقد سبقتني اليكم اخبار الثروة والوجاهة ــ انكم لا تستقبلونني بل تستقبلون المال . انتم لا تكرمونني ولكن تكرمون الفائدة التي تأملون ان تنالوها مني ــ الذبيحة التي تذبحونها لتطعموني تحسبون ما ستنالونه مني مقابلها ــ انا الذبيحة الكبرى ، لا استحق منكم ذبيحة خالصة لوجه الله ..

اني اخترق نظراتكم المتصالبة على وجهي لتسبر غور تفكيري . انها لا ترى غير قيافتي النظيفة وصحتي الظاهرة : انى لها ان تبصر جراحي العميقة التيلا تندمل ، جراح الروح، جراح الانفة والكرامة : انكم لا تتصورون كم لاقيت من اذى في ديار الغربة : لا تتصورون كيف كنت انام في العراء ، على حفافي الطرق العامة ! لا تتصورون كم مرة شتمتني سيدة عرضت عليها البضاعة التي احملها على ظهري ! وكم مرة صفعني رجل تجرات على مطالبته بدين لي مستحق انا « التوركو » المرذول المحتقر ، قبل ان تجيء حرب تشرين فترفعني الى المستوى اللائق بي بين الشعوب.

كل واحد منكم يجلس امامي صامتا محدقا بي بعينين بلهاويين تحاولان اختراقي من كل الجوانب : وعبثا ابحث في اعماق عيونكم عن سؤال عاطف ، سؤال مجرد عن المصلحة : هل انت مرتاح ؟ هل انت سعيد ؟ ، لا ! انهذا السؤال لا يخطر لكم ببال . كل واحد منكم يسأل عما جلبت له معي من هدايا او نقود .

الصقيع الذي كان يأكل عظامي لا تعرفونه ولايهمكم ان تعرفوه : صقيع الليالي الباردة ، وصقيع العيون والقلوب القاسية الفارغة من كل عطف التي تجمد الانسان ، وتحيله عمودا من جليد ، مصلوبا على مفارق الدروب ،عرضة لكل ضروب الازدراء والبغضاء .

لا ! لن ادعكم تتملكونني هكذا بكل بساطة ! لن ادعكم تستولون علي بهذه النظرات المقتحمة ! انا الذي سيتولى استجوابكم : قولوا لي ماذا



تفعلون طوال النهار ؟ ما زلتم تقضون ايامكم بلا عمل . تقضونها بالاحاديث الفارغة ، والروايات المكذوبة ، والافتراء على الاخرين ، ونهش اعراضهم وتشويه سمعتهم !

قل لي ، انت هناك ، انت الذي يثقبني بنظراته ، هل حافظت على سمعتي خلال فترة غيابي ؟ هل فكرت في ان تكتب الي رسالة تسأل فيها عن احوالي ، وتخبرني بما يحدث في القرية او في البلاد ؟ كم مرة خطر اسمي ببالك ؟ وماذا كنت تقول في كل مرة ؟ انك لا تجرؤ ان تجيب . سأجيب انا عنك :

ــ مرة ، قلت : « لا رده الله ، فلقد كان مزعجا الى ابعد الحدود » . ومرة اخرى ــ هل تذكر ؟ ــ قلت : « كم اكون سعيدا لو اتاني نبأ وفاته، اذن لتخلصت من الاهتمام بـه ، ولاستوليت على ارضه وبيته .. » . ومرة ثالثة كنت تقوم بالاعتداء على حقوق جارك فلمحت صورتي في مخيلتك فانزلت علي اللعنات وانت تقول لنفسك : « الحمد لله الذي خلصنا منه . لو كان هنا الان لما استطعت ان افعل ما افعله ، ولكان خاصمني وقاومني وازعج اذني بمواعظه ودروسه الاخلاقية » .

وانت ، ياسيدتي العظيمة ، انت التي تترقرق الدمعة في عينيها لشدة فرحها بعودتي ، وتكاد نظراتها تعريني من ثيابي ، انت ، كيف تصرفت بغيابي : يوم زوجت ابنتك المسكينة لرجل في عمر والدها او جدها ، يوم بعتها اياه بالنقود غير مكترثة لاحتجاجها وبكائها ، يومذاك كنت اسعد الناس لانني كنت غائبا ، لانني « كثير غلبة » لا يمكن ان اسكت على مثل هذه الفعلة الشنعاء . ويوم ماتت المسكينة فجأة ودفنتموها ، حمدت الله الف مرة لانني لم اكن هنا ، وقد قلت : « لو كان هنا لما ترك المسألة تمر : كان استدعى الشرطة والطبيب الشرعي والقاضي لمعرفة اسباب الوفاة . وما اسهل اكتشاف الزرنيخ

الابـاء

نزلت بي المصائب اشكالا والوانا .لمحافظتي على كرامتي ، وترفعي عن بذل ماء الوجه ، والابيات الاتية ثمرة تلك الازمة النفسية .

مرحبا بالمصاب تلو المصاب   أتلقاه ثابت الاعصاب
وعلى الثغر بسمة تعلن الغبطة   دوما بمرهقات الصعاب
لم ترق لي نوائب الدهر ما لم   تك صخابة كموج العباب
اصحبت صاحبي الاثير ، ومن ذا   في البرايا يطيق هجر الصحاب

بي من الهم ما يزعزع رضوى   ورفاقي لا يعلمون بما بي
والقوافي كادت تنوء ببثي   كاغدي ما ألم بي من عذاب
صنت همي عن الورى ،لكن الشعر   ابى ان يبقى وراء حجاب
فابحت القريض اسرار نفسي   فتلاها كقارىء من كتاب

ان مهر الاباء بؤس عضال   وشقاء موطد الاطناب
الف الناس جلهم ربقة الذل   فذاقوا منه اجاج الشراب
ملأوا الراح بالنضار ، وباعوا   عزة النفس بالغنى الكذاب
وابيت الصغار ، فالنفس باتت   في الثريا ، والحظ تحت التراب

محمد العدناني

في الامعـاء ! .. » .

ـ والان جاء دورك انت ، ايها القريب العزيز ، انت المحب المتفاني ، انت الملاك الحارس ، للاحياء والاموات ، للغائبين والحاضرين .. اراك تبالغ في الحديث عن المحبة والامانة ، والشوق الشديد ،والتقدير الصادق للمزايا والاخلاق ، انك تخفي سرا خطيرا ، انك قمت بعمل قبيح ، اقبح عمل يمكن ان يقدم عليه انسان . لقد تركت حين مغادرتي القرية بقعة غالية ، مدفنا وأريت فيه جثماني والدي الحبيبين، وقد توفي والدي بسبب من ظلم دهره ومجتمعه ، وذوي قرباه ، ولحقت به والدتي بعد بضع سنوات. تركت تلك البقعة على امل ان اعود وانا قادر على بناء اثر تذكاري ،مدفنا يليق بالوالدين العزيزين ، ولدى عودتي اخبرني بعض الجيران ان عظام الوالدين قد نقلت الى مكان آخر وان ذلك قد تم ليدفن مكانهما اناس آخرون ... لقد صعقني الخبر ، يا ايها القريب المحترم ، ليس لانني اؤمن بتكريم العظام ، وانا اعلم انه ليس في القبر سواها ، ولكن لانني اكره العبث بالعظام ، واكره من يعبث بالعظام . واكره قبل هذا وفوق هذا ان يفعل هذا الفعل القبيح حين غيابي ، ومع العلم الاكيد بانه يسيء الي اساءة بالغة ، ويجرحني في الصميم ، ويؤلمني ايلاما لا توصف حدته ، ولا ينطفيء اواره حتى الممات !.. اجل ايها الملاك الحارس ، المفرط بالامانة ، اعرف كل ما فعلت خلال غيابي ، فلا تتظاهر بهذه البراءة ، ولا تتفاصح في التعبير عن العواطف ، فالاعمال ما زالت افصح وابلغ من الاقوال ! ..

وانتم جميعا ، ايها الحاضرون ـ الغائبون ، ايها الذين ساهموا بالحضور ، والصمت ، وعدم ابداء اي رفض او احتجاج ـ على الاقل ـ انتم جميعا شركاء في الجريمة ، فلا تحدقوا في هكذا ، لا تنكأوا جراحي هكذا ! يا اولاد الافاعي ، انا لم يبق لدي وقت كاف لتلقي طعناتكم ، وسماع اكاذيبكم ، فأنا عائد الى البلاد التي احتقرتني في البداية ، لانها لم تكن تعرفني ، ثم كرمتني لما عرفتني، وقدرت عملي وكافأتني عليه مكافأة مجزية ، وقد خرج اهلها لوداعي وهم لا يعتقدون انني سأعود ، وسيستقبلونني وهم اشد ابتهاجا حين يعرفون انني عدت اليهم ، مع ان احدا منهم لا ينتظر مني هدية ولا منفعة ، سأعود اليهم ، انهم اهلي ، حين عقني الاهل ، والاعمال والمواقف هي التي تميز الاهل من غير الاهل ، وهم قد اقاموا البراهين على محبتهم الخالصة : فآنسوا وحشتي ، وقدروا صفاتي واعمالي ،واحترموني حيا وسيحترمونني ميتا ، اجل سأعود لان لي دونكم اهلين امناء ، احب ان اموت بينهم ..

دمشق   سعيد ابو الحسن

التجديد في الشعر السعودي

من خلال ديوان « جدران الصمت »

بقلم الدكتور بكري شيخ امين

• • •

لئن كان تاريخ الادب العربي يحتفظ في انصع صفحاته بروائع شعراء الجزيرة العربية كامرىء القيس والنابغة وزهير الاعشى ، وحسان بن ثابت، وابن ابي ربيعة، وجميل بن معمر ،والاخطل وجرير والفرزدق وسواهم ،انه ليسجل كذلك ان موكب القول الجميل ،والكلمة المجنحة غابت عن هذه الجزيرة حينا من الدهر ،ولمعت في سماء غير سمائها ثم لم تعد اليها مرفرفة الا منذ عهد قريب ،يوم بزغت انوار شمس النهضة الادبية ،واشرقت فوق ربوع الشرق العربي ،وقد كان للجزيرة من هذه الانوار حظ وفير .

والظاهرة التي تستدعي الانتباه ،وتشد الاهتمام ،بل تستدعي الدراسة والتحليل هي ان نتاج الجزيرة العربية الشعري لم يكن في العصور الخوالي الا شعرا عموديا ، عروضيا محافظا على الوزن والقافية ،والروى ،ونهج القصيد ،لم يشذ عن هذه القواعد أحد ولا خرج عليها شاعر .

اما ابناؤها اليوم من الشعراء فهم على اشكال وصنوف منهم من ينهج نهج القدماء ،ومنهم من حافظ على الشكل شبرا بشبر وذراعا بذراع ،ومنهم من حافظ على الشكل وجدد في الصورة ،ومنهم من تمرد على هذا وتلك ،وابتعد قصيا عن مهيع القدماء في كل عناصر القصيد .

ومن هذا الفريق الاخير شاعرنا اليوم محمد العامر الرميح في ديوانه الرمزي الجديد « جدران الصمت » .

ان قارىء هذا الديوان يحس أول ما يبدأ قراءته أن بصمات واضحة لبودلير ،ورامبو ،وسواهما من شعراء الغرب الرمزيين قد تركت آثارها في قصائده وان اراء كثيرة من نيتشه وشوبنهاور قد انتقلت الى الديوان ،وان الشاعر متأثرا تأثيرا بينا بالادب الغربي لايقل عن تأثره بالادب العربي التليد ،وان هذه الاشكال والصور الغربية قد تسربت الى شعراء الشام ومصر ولبنان والعراق فحسب ،بل امتدت حتى الى ابناء الجزيرة العربية ،وغزتهم في عقر دارهم .

لسنا نريد في عرض هذا الديوان ان نقوم هذه الاتجاهات .ونحكم لهذه المذاهب او عليها وانما نريد ان نضع في الاذهان صورة لديوان رمزي جديد ،صدر عن شاعر من الجزيرة العربية ذاتها ،وهذا هو الحدث الذي يستحق العرض والاهتمام والحديث .

ونقد دافع الشاعر عن اتجاهه دفاعا حارا في مقدمة « جدران الصمت » وفي كتاب له صادر في العام الفائت بعنوان « قراءات معاصرة » .ومما جاء في دفاعه عن هذا الاتجاه قوله :

« في الحقيقة ليس هناك شعر عروضي ،وشعر حر بقدر ما يكون هناك شعر جيد وشعر رديء .وانا شخصيا – يقول الرميح – أحترم تجربة الشاعر اذا استطاع ان يجعلني كقارىء – أتحسسها معه وأتأثر بها ،كما لو كانت تجربتي أنا بالذات ،دون ان انظر الى القالب او الشكل الذي قدم الشاعر فيهما تجربته ،سواء أقدمها الي بطريقة الشعر العروضي المقفى الموزون ،أم بطريقة الشعر المتمرد على القافية والوزن .الاهم من كل شيء هو قدرة الشاعر على نقل تجربته وانفعالاته ،بصرف النظر عن القالب والشكل والاسلوب ،فالشعر ليس هندسة وتكنيكا وتخطيطا ،والذين يهاجمون الشعر الجديد في هذه الايام مخطئون .والمضحك ان معظم هؤلاء لا يفرقون بين الشعر الحر الذي يحتفظ بالموسيقى ،وبالايقاع النغمي للشعر ،وبين ما يسمى بالشعر المنثور » .

ويضيف الى ذلك قوله : « ان الشكل التقليدي للقصيدة قد جاء مناسبا لحياة الشاعر الجاهلي ،ولتجارب عصره وينبغي علينا نحن ان نبتدع لنا اشكالا تتناسب وواقع حياتنا ،وتجارب عصرنا .ان الشعر العربي القديم شعر (مغلق) وما نسميه بالشعر الحر هو الشعر (المنفتح) الصاعد ابدا » .

ويبلغ الاستاذ الرميح قمة نظريته حين يقول :« أعطني الفكرة الجميلة ،والصورة الجميلة ،والتجربة الصادقة في اي لون من الوان الكلام لاقول لك :هذا شعر .واعطني الصخب والقرقعة والرنين الاجوف في اي اسلوب من أساليب (النظم) لاقول لك : هذا هذيان » .

تلك هي خلاصة رايه في الشعر العروضي والشعر الحر ويبدو ان مثل هذه الآراء يدين بها عدد من العلماء والناقدين ،فلقد كتب الدكتور محمد مندور – رحمه الله – مقالا اشاد فيه بشعر الرميح واتجاهه ،ووصفه بالشاعر الممتاز ،كما نقل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الى عدد من مؤلفاته كثيرا من آراء الرميح وشعره ،وضرب بها المثل على جمال الشعر الحر الجديد ،ونجاحه في التعبير عن التجربة الانسانية النجاح الكبير .

ولعلنا لو قدمنا باقة من « جدران الصمت » لكان فيها القول الفصل ،والشاهد الحق على ماوصف الدكتور مندور وما اشاد الدكتور الخفاجي .

ففي قصيدة عنوانها « نداء الحياة » يقول :

آه

وذاب الصدى

• اذيعت من القسم العربي في راديو لندن في ٢٠ – ١١ – ١٩٧٤ .

نهاية حلم

انتهى الحلم وصار الحلم عند الصبح
اشلاء نهار
هل ترانا قد مللناه سويا
هل مللنا السوسن الضاحك من بعد
اشتياق
هل تركناه ، سحقناه بحمق
ومضينا

ليس يعنينا ، كما يبدو ، بقاء الحلم
يوما
بعد هذا اليوم الا ان نعيد الحلم
تكرارا مملا
يمسخ الامس ويجثو في تراخ
عند اقدام ضياع ورماد
هكذا الحلم تراءى
هكذا الحلم توارى
ثم ضعنا في زحام
وانتهينا

آه يا دنياي كم قلنا وكم ذقنا ...
وكان القول ، كان الذوق ، كان
الامس حلوا
لم يا دنياي رمناه حطاما وهشيما
تعبث الريح بانات خطاه
لم دسنا جنة السوسن حمقا
وتركنا الحلم يهوي
من يدينا

جامعة الاسكندرية لطفي عبد الوهاب يحيى

فأسرعت في حذر وارتياب
افتش عنه هنا .. وهناك
ولكن .. ويا للاسى لم اجد
هنالك .. غير السكون العميق
فعدت مع الليل .. اطوي الطريق
وحيدا الى القرية الحالمة
وحيدا .. بلا صاحب او رفيق
وفي شفتي .. نداء جريح
نداء الحياة ...
لقلبي الذبيح !!

و في اخرى نظمها عام ١٩٥٤ عنوانها « الى المعترك »

يقول :

اخي .. يا اخي .. ان هذي يدي
فهات يدك
وهيا معي
الى المعترك
هيا معي ..
لا ترتبك
هيا معي .. الى كل ارض
يحاصرها المستعمر
في القدس .. في تونس .. في القنال

ولو رافقنا الشاعر الرميح في كل قصائده لتبين لنا بوضوح انه من شعراء العرب القلائل الذين تفاعلوا مع روح العصر ،ولكن الصفة الغالبة في معظم قصائد « جدران الصمت » هي الروح التشاؤمية التي غلفت كل بيت من كل قصيدة في ديوانه مما يدلنا على ان الشاعر الرميح لا بد وان يكون قد مر بحياته بأشكال متنوعة من الحرمان واليأس والعذاب النفسي ،وهذه الاشكال الحيوية او النفسية كان قد مر بها قبله شعراء كبار تأثر بهم شاعرنا السعودي من امثال بودلير ورامبو وفرلين ونيتشه واليوت وكيتس ولهذا فقد كان الطابع السائد الذي طغى على سمات شعره هو طابع الحزن والموت والعذاب والحرمان والوحدة ،وهذه السمات تكون في الغالب من العوامل المؤثرة التي اذا ابتلي بها شاعر او فنان اعطته قدرة لا محدودة على الانتاج والابداع.

ومن اروع شعر الرميح الذي يؤكد نجاحه كشاعر رمزي رومانسي قصيدته «اموت وحيدا » ومنها :

وحيد أنا ..
أيام عمري كلها ظلام
وادمع وقلق .. واغتصابة ابتسام
احاول أهرب من نفسي
من عالمي الاسود ..
من قلقي ..
الى اي .. اي مكان
افتش عن درب يوصلني
عن سحابة تمطرني
في أي .. اي مكان
احاول ابحث عن اجنحة اركبها
تعبر بي الافاق الى اي مكان في الدنيا
اي مكان ..
احاول ابحث عن انسان يحيا معي
يشاركني قلقي
اي انسان ..

وهناك بين ثنايا هذا الديوان قصائد عدة تمتاز بهذا الصدق الشعوري الذي يؤكد انصاحب «جدران الصمت» شاعر فتح قلبه وصدره للعالم الجديد دون ان يفقد اصالته أو ارومته .

بكري شيخ امين



عبد الرزاق الهلالي

شعراء من العراق

أكرم احمد

١٣٢٤ هـ – ١٣٨٨ هـ
١٩٠٦ م – ١٩٦٨ م

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

توطئة : ان هذا الشاعر الذي نقدمه اليوم ، من الشعراء العراقيين الذين لمع اسمهم في اوائل العشرينات من هذا القرن ، حين اخذ وهو طالب في المدرسة الثانوية في بغداد ، ينشر ما ينظم من مقطعات وقصائد في شتى المقاصد والاغراض ، على صفحات جرائد ومجلات العراق، ومن الجدير بالذكر ان هذا الشاعر الشاب شق طريقه في ميدان الشعر في الوقت الذي كان هذا الميدان حكرا على شعر شاعري العراق الكبيرين الرصافي والزهاوي وغيرهما من شيوخ الشعر في العراق آنذاك ، ولنشاطه الملحوظ فيه ، منحته الصحافة لقب « شاعر الشباب » وقد بقي معتزا بهذا اللقب حتى اخر لحظة من حياته ، فمن هو هذا الشاعر يا ترى ؟!

اكرم احمد : هو اكرم بن احمد بن توفيق البغدادي كان والده من موظفي الحكومة يتنقل بحكم عمله من مدينة الى اخرى ، وحين كان في مدينة البصرة ولد له فيها ابنه « اكرم » وكان ذلك في سنة ١٩٠٦ ، غير ان هذا الوليد لم يبق في تلك المدينة الا اشهرا ، اذ انتقل مع والدته الى بغداد ، وهناك في كنف خاله « فؤاد افندي السنية » شب وترعرع ، ولما بلغ مبلغ الصبيان ، دخل مدرسة الفضل الابتدائية واكمل دراسته فيها ، وسارع بعد ذلك بدخول المدرسة الثانوية التي كانت قد فتحت ابوابها حديثا في بغداد .

وفي الوقت الذي كان يدرس في هذه المدرسة ، كان يتلقى على العلامة المرحوم الشيخ عبد الوهاب النائب ، والعلامة المرحوم الشيخ قاسم القيسي ، قسطا من علوم العربية ، وقد احب وهو في هذه السن ، الشعر ، ومال اليه وراح يجرب حظه في ممارسته بالرغم من قلة بضاعته فيه .

الافادة من الزهاوي :

ورغبة منه في صقل موهبته الشعرية واستكمال عدته في نظم الشعر ، قرر الاتصال بشاعر العراق الكبير المرحوم جميل صدقي الزهاوي ، ولازمه مع غيره من شعراء الشباب ، ملازمة طويلة ، كان يرجع اليه خلالها في قراءته لشرح ديوان المتنبي للعكبري ، وشرح ديوان الحماسة لابي تمام ، ويعرض عليه ما كان ينظم من شعر، ليسمع رأيه فيه ، ويأخذ بما يبديه من تصحيح وتوجيه ، وقد افاد من هذه الملازمة فائدة كبيرة ، بدا اثرها واضحا في شعره وقصائده التي نظمها بعد ذلك .

شاعر الشباب : وقد اخذ هذا الشاب منذ ان كان طالبا في المدرسة الثانوية ، ينشر بعض المقطعات والقصائد على صفحات الجرائد والمجلات العراقية ، حتى اذا وجدت فيه هذه الصحف ، شاعرا رقيقا ، منحته لقب « شاعر الشباب » بعد أن كان (شعراء الشيوخ) يملأون اعمدتها بالقصائد العديدة . وقد ترك هذا اللقب اثرا كبيرا في نفسه ، حمله على الاجادة في النظم ليكون عند حسن ظنها فيه . وبقي معتزاً بهذا اللقب حتى اخر لحظة من حياته !

ومن طريف ما قراته في هذا الصدد ، ما دار بينه وبين الشاعر الشيخ كاظم السوداني ، عندما كان شاعرنا قائمقاما لقضاء ابي صخير . فقد خاطبه السوداني متسائلا:

ا (شاعر الشباب) فيه تدعي و (شاعر الشيوخ) ادعي انا
انا وانت فيه ، كل يدعي فمن ترى يحكم بالفضل لنا

فأجابه على البديهة قائلا :

حكومة الفضل اتت قائلة وهذه لي ولكم فيها غنى
الفضل للاثنين فيما قصدا انت الذي اسست والباني انا

وهكذا استمر شاعرنا على نظم الشعر ، واخذ يبعث بقصائده الى عدد من المجلات في مصر ولبنان ، وبات اسمه معروفا لدى القراء العرب !

في دنيا الوظيفة : لقد كان مفروضا ان يتم هذا الشاب النابه دراسته العالية ، لكن حظه السيء ، حكم

عليه بأن يفقد والده وهو في الصف الاخير من المدرسة الثانوية ، ولما لم يكن له ولوالدته ، من يساعدهما على مغالبة متاعب هذه الحياة ، اضطر على ترك الدراسة وعين كاتبا في مديرية السجون العامة سنة ١٩٢٧ ، واخذ منذ ذلك التاريخ يتدرج في سلك الوظيفة ، ويشغل مناصب مختلفة منها ، حتى انتهى به المطاف الى اشغال منصب (متصرف) وهو اعلى منصب في سلك الادارة . وبقي فيه حتى عام ١٩٥٦ ، حيث احيل على التقاعد ، بعد ان ظل في دنيا الوظيفة حوالي ثلاثين عاما .

ولكن الذي يلاحظ ، انه خلال هذه السنين الطويلة ، لم يكن بعيدا عن حلبة الشعر والادب ، بل على العكس من ذلك ، كان على صلة وثيقة بهما ، نشرت له الصحف والمجلات العراقية والعربية كثيرا من القصائد والمقطعات الرقيقة !

الوفاء للزهاوي : قلنا ان هذا الشاب ، لازم الاستاذ الزهاوي ،ملازمة الطالب لاستاذه ، وقد حدثت بعد ذلك كما هو معروف ،القطيعة بين الزهاوي والرصافي، فانقسم ادباء بغداد وشعراؤها ، الى فريقين ، كل فريق يناصر الشاعر الذي انحاز اليه ، فكان منطقيا ، ان يقف اكرم احمد في صف استاذه الزهاوي ، يدافع عنه ، ويرد عنه كيد الخصوم ، لا فرق في ان يكون ذلك الدفاع شعرا ام نثرا . ولما بلغ الهجوم على استاذه حدا لا يطاق ، نظم قصيدة طويلة نشرها على صفحات جريدة « العراق » يوم (٤ ـ ١ ـ ١٩٢٨) وجهها الى استاذه قال فيها :

ماذا يطيق من البيان لساني … وحقوقكم ، عقدت لسان لساني
يا رافعا علم القريض بشعره … يسعى ليرفع راية الاوطان
ان كان صرح الشعر شيد لامة … فلانت شيائده وانت الباني
ماذا يضير النقد من متطفل … شعرا ، أقر بفضله الملوان
فلقد بنيت بفضل ما بك من ضنى … مجدا لقومك راسخ البنيان
ورفعت شانهم بحد يراعة … امضى وانفذ من شبا المران
لكنهم جحدوا الصنيع وانكروا … ما جئت من فضل ومن احسان

ثم يخاطب استاذه قائلا :

ما شاب شعرك يا جميل وان بدا … فيك المشيب لخلفة الازمان
فلقد قرضت الشعر يسحر يافعا … وبرعت فيه وانت شيخ فان
قل للالى يبنون في خلواتهم … جهلا بموقفهم صروح اماني
انا سواء في الحياة وانما … قد فرقتنا نزعة الاديان

شاعر الحب والغزل : ولما كان شاعرنا ، مرهف الحس ، سريع الخاطر ، حاضر البديهة ، فقد كان شعره، شعرا رائقا ، وحيث انه عاش حياته ، عازبا فقد احب حياة الانس والمتعة والطرب ، فلا عجب ان كان من شعراء الحب والغزل والمجون ، ولقد وقفنا ونحن نبحث عن شعره ، على قصائد كثيرة يصف فيها مجالس الانس ومصاحبة الغيد الحسان !

آخر الصفحات : وحين ترك عالم الوظيفة واصبح حرا من قيودها ، كثرت اسفاره الى خارج العراق ، الا ان مقامه في لبنان هو الحبيب الى نفسه اذ طالما تغنى بجماله وجمال طبيعته وجمال غيده وحسانه .

وحين كان مقيما في بيروت في نهاية سنة ١٩٦٨ ، اصابته نوبة قلبية حادة ادخل على اثرها في المستشفى لانقاذه من هذا الخطر الداهم ، غير ان القدر قد انفذ امره ، ففارق الحياة ومات وله من العمر (٦٢) عاما .

شعره : من المؤسف حقا ، ان يظل شعر هذا الشاعر متفرقا لا يجمعه ديوان مطبوع ، وقد قيل انه رحمه الله قد جمع عيون قصائده واعدها للطبع في ديوان يحمل اسمه الا انه لم يقم بذلك ولا ندري ما حل بهذا الديوان !

وقد وجدنا ونحن ندرس حياة هذا الشاعر ونبحث عن قصائده في الصحف والمجلات . ان الاستاذين الفاضلين ، غازي الكنين وعلي الخاقاني قد اسهما مساهمة مشكورة في حفظ بعض قصائده بكتابيهما « شعراء العراق المعاصرون » و « شعراء بغداد » .

ونقدم للقارىء فيما يلي نماذج من شعره للاطلاع على قابليته فيه ، وتقييم العوامل التي دفعت تلك الصحف العراقية على منحه لقب « شاعر الشباب » !!

دمعي يتكلم

نظم هذه القصيدة عندما كان طالبا في المدرسة الثانوية ونشرها في عدد مجلة « الفضيلة » الصادر يوم ٢٦ ـ ١٩٢٦ :

لا اطيق الجفاء فالقلب مغرم … وعلي قلبي الهوى يتحكم
كم تذللت في غرامي لخود … قلبها مثل صخرة وهو من دم
انا اهواك يا سليمي سواء … كنت تهوينني كذلك ام لم
انني قد سكت عن بث شكوا … ي ودمعي من مقلتي يتكلم
ان تكوني كريمة يا سليمي … فانا منك في المحبة (اكرم)
ما لقلبي اذا ذكرتك يهفو … ولساني عند اللقا يتلعثم

سئمت حياتي

نظم هذه القصيدة ونشرها في مجلة «البرهان» يوم٨ـ٨ـ١٩٢٧

لحى الله دهرا حاربتني خطوبه … على انني لم آت ما قد يريبه
اذا ما صفا عيشي من العمر ساعة … تكدر عاما بالهموم تشوبه
وكم وقح انحى علي يسبني … فكان جوابي انني لا اجيبه
وما ضرني ان عابني ذو سفاهة … قد اشتهرت بين الانام عيوبه
ومن شيمتي اني عن الخصم صافح … وان كثرت اخطاؤه وذنوبه
سئمت حياتي في شبابي لانني … بها لم اجد بعض الذي استطيبه
وما كان ظني ان ارى شعر مفرقي … يحول وان الحادثات تشيبه
نصيبي من دنياي هم ، وانما … لكل امرىء في العالمين نصيبه

مصير الجمال

نظمت هذه القصيدة ونشرت في عدد مجلة « الفري » الصادر يوم ١٨ ـ ٥ ـ ١٩٤٨

سألتني ودموع العين بالشكوى تبوح
(عانس) رق لها لفظ كما قد رق روح
ناطق بالشجن الخافي بعينيها وضوح
في محياها بقايا من ملاحات تلوح
اترى الحسن نزيل مثلما جاء يروح

قلت لا يغررك وجه لك كالصبح مليح
وشعاع في جمال كسنا البرق لموح
وعيون فاترات اللحظ بالسحر تليح
وأريج الطيب من مبسمك العذب يفوح
وكقطر الطل دمع فوق خديك سفوح

ان هذا الحسن مثل الروض يندى ويصوح
وتعرى غصنك المورق للعاصف ريح

يتساوى في حشا الارض مليح وقبيح
حيث لا يغني جميلا كبرياء وجموح

ذكراكم وذكرانا

نقلا عن « شعراء بغداد » ج١ للخاقاني

يا مرسلا في ظلال الارز نغمته   يساجل الطير ترنيما والحانا
طافت به نسمات الفجر عاتبة   فعطرت منه اكنافا ووديانا
اضفى الربيع عليه من بشاشته   مطارفا وشيت بالحسن الوانا
قد صفق الماء يجري في مساربه   واستضحك الزهر ملءالارض فتانا
كانما رنة الناقوس من كثب   في ديره بركات الله ترعانا
جددت لي ذكريات هاهنا سلفت   فجددت لي اشواقا واشجانا

يا نائمين ببغداد على دعة   هلا ذكرتم وراء الشام سهرانا
الوجد لوعه والبعد روعه   فبات يطوي ظلام الليل حيرانا
شطت به الدار الا عن غرامكم   فما يزال عليه مثل ما كانا
اذا سجى ليله جاشت لواعجه   وظل يصلي من الاشواق نيرانا
ذكراكم في نواحي القلب خافقة   فهل لذكراكم في البعد ذكرانا

عتاب وشكوى

نشرت في جريدة « البلاد » يوم ٢٧ – ٦ – ١٩٣٠

كتمت هواها في الفؤاد سنينا   وبت الليالي والها وحزينا
وهمت بها حبا فكاد لفرطه   يسبب لي ذاك الهيام جنونا
بديعة حسن كلما دار طرفها   على القلب املى في الغرام فتونا
قضينا معا شطرا من العمرفيالهوى   عناقا وألفينا الزمان معينا
وشاهدت زهرا في خميلة حسنها   وسحرا بالحاظ العيون مبينا
فما بال هذا الدهر اصبح صارما   لحبل تصافينا وكان متينا
وجدت بدمعي يوم جدت بنا النوى   وكنت به قبل الفراق ضنينا

الى ابناء العمومة في الشام

نشر هذه القصيدة في جريدة « الزمان » يوم ٦ – ١ – ١٩٥٠ في الوقت الذي اصبح فيهالعقيد اديب الشيشكلي حاكم سورية المطلق، وقد وجهها الى ابناء العمومة في الشام :

عجبت للشام تعطي الصولجان فتى   بالحق مستهزيء للعدل هداما
وتسلس القيد عن طوع لذي نزق   من الرعاع باطياف الهوى هاما
فظ الطباع يرى من عنجهيته   فضائل الغير الاحرار آثاما
لو لم تحطها من الباري عنايته   لسامها السادر المفتون ما ساما

بني العمومة من صيد جحاجحة   رفوا على جنبات الشرق اعلاما
فيم الشقاق وعين الخصم راصدة   بكم تربص اوطانا واقواما
ضموا على الوحدة الكبرىجوانحكم   من قبل ان تصبح الاوطان احلاما
وبالتآخي ابسطوا اطراف وحدتكم   لا تجعلوا حدها بغداد والشاما
ماض من المجد لولا البيض تكلؤه   ما كان الا خيالات واوهاما
وللضحايا كرامات مدوية   يشدو بهن فم التاريخ انغاما
تبقى على شفة الاجيال قائلة   لا تنصبوا من دعاة الخلف حكاما
الشامخين وما جاءوا بمكرمة   والمشبهين تماثيلا واصناما

قطيع من الغنم

نقلا عن كتاب « شعراء العراق المعاصرون »

نحن في معرض الامم   كقطيع من الغنم
نام عنه الرعاة والذئب يقظان لم ينم
شغلتهم عن الحمى   متع العيش والنعم
مدهقات كؤوسهم   قد حسوها على نغم
لا يحسون صرخة الشعب من لذعة الالم
ولامر تصامموا   ما بآذانهم صمم
معشر كل همهم   لذة تطفيء النهم

وقصارى مرادهم   راحة تمتلي وفم
ما عليهم وقد خبت   فيهم جذوة الهمم
أن ابيحت ديارهم   واستبيحت بها الحرم
صاح بالصيد هاتف   مستغيث من الرمم
يا ال ابناء يعرب   للكرامات والشمم
طاف بالدار طائف   من عدو به قرم
اجمعوا الامر كلما   فوقها يركز العلم
لا تندوا فتندموا   يوم لا ينفع الندم

بين الشعر والغناء

وقد القى رحمه الله هذه القصيدة في مهرجان الشعر العربي السادس ، الذي اقيم في بغداد في شهر شباط سنة ١٩٦٥، وهي آخر قصائده الحسان ، وهي تتألف من (٥٥) بيتا .

حييت يا شادي الوادي وسامره   اذا تالق ناد او حلا سمر
بشدوك العذب .... راقصة   من الشجيين نار الشوق تستعر
ما زلت اذكر عند الواد مجلسنا   والنجم يجنح والشلال ينحدر
وانت تسكب في اسماعنا نغما   عليه تستيقظ الاحلام والذكر
ترنو اليك نجوم الارض مصغية   وينحني لك من عليائه القمر
ود القدامى وقد غنيتهم سحرا   لو ان كل ليالي عمرهم سحر

ثم يخاطب اخوانه الشعرام العرب الذين شاركوا في المهرجان قائلا:

عنادل الشعر حيا الشعر موكبكم   وامة بالتراث الضخم تفتخر
رفت خمائل بغداد فكل ثرى   عطر يضوع وغصن مورق نضر
لما نزلتم على شطآنها احتفلت   عرائس النخل والاطيار والغدر
شدا لكم كل طير فوق ايكته   وهز من طرب اعطافه الشجر

وقد انتهز الشاعر هذه المناسبة فاظهر شكواه من موقف ادعياء الشعر ، وخاطبهم قائلا :

عنادل الشعر هذا اليوم يومكم   لحفظ ما شيد الاباء او عمروا
شكية الشعر طالت من اذى نفر   جاروا عليه بما قالوا وما نشروا
قد شوهوا حسنه وزنا وقافية   ثم ادعوا ان ما قالوه مبتكر
قالوا شعرنا فابدعنا وما علموا   بانهم مسخوا المنظوم بل نثروا
بين الاصيل وبين البدع معركة   ولن يكون بها للاعزل الظفر
الشعر عاطفة بالحب دافقة   تغني الحياة بما تعطي وتزدهر
وما البلية الا ان يمارسه   من عدتاه عليه العي والحصر
ومدع ظن نظم الشعر الهية   لا اللفظ متسق فيه ولا الفكر
مشى الى العين ظمآنا بمظلمة   فالتات فيها عليه الورد والصدر

ثم قال منذرا هؤلاء الشعراء الذين استهانوا بالشعر العموديقائلا:

من مبلغ ادعياء الشعر مألكة   من شاعر لهم في طيها نذر
وعصبة سخرت للذب السنها   عنالالى مناصيل الشعرقد سخروا
لا تستثيروا بما يؤذي حفيظته   فثورة الشعر لا تبقي ولا تذر
من قبل الفشدا في البيد شاعرها   فرددت شعره الاجيال والعصر
تنفست في خزاماها قريحته   كما تنفس في اكمامه الزهر
غناه في صخرة الوادي وربوته   والمنحنى فرواه البدو والحضر
مستعذب الجرس فيه نفحة عجب   طابت بانفاسها الاخبار والسير
الم على البيد واسأل من مضاربها   هل عن قديم هوانا عندها خبر
في رملها ولياليها وسامرها   تظل ماثلة من قيسها صور

وبعد : فنكتفي بهذه النماذج من شعر هذا الشاعر العراقي ، الذي ظل معتزا بلقب « شاعر الشباب » بالرغم من اشتعال رأسه شيبا ، ويا حبذا لو قام اخوه او اهله وذووه بجمع ما خلف من شعر وطبعه ليفيد منه الدارسون ؟ .

بغداد   عبد الرزاق الهلالي

علـى دربـين

وتلاقت نظرات
فاجـاب الصمت
وارتاحت ظنــون
وتوجسنا وسرنــا
وعلى الدربين أطياف سنين
وظننا فاتهمنــا
وعلى الاعمــاق استار صفاق
ومشى السير عثارا
والدلالات تنادي نافرون

وتبادلنا اعتذارا
حائر الخطــوة
مخذول التمــني
وكتمناه ملالا
ومن الماضي رسيس
ليـس يثـني
ونـداء الليل تذكـار
خفيـض الصـوت
موهون الصـدى
اين ظــلان
اباحا ظلمتي الدكنـاء
في ثغر وعـين

يــا طريق النهــر
هذا طــارق الامس
مشى دون التفــات
لم يعـد يرصـد
او يخشى على السير
فضــول النظـرات
منــذ عشر غير الشــوق
على اللقيا طريق الصبوات
منـذ عشر لو تساءلت
لكان الصمت بـوح الكلمات

سكت الصبـح
فمــاذا ينقل الهــاتف
عند الصبح عنــا
امس لم يشهد لقاء
ما الذي يبعثها ذكرى
وانا لم نعد خفقا يبوح
لم نعد نقطف او نسكب لقيا
سكت الصبح
فجفت امسيــات
كن بالامس ارتوينــا

اهو شــك قد تمــادى
ام صدوف كان يرجو سببا
اعتــاب مستثير
طاب للايفــال
فيمـا عتبـا
ام هـو الـدرب الذي سرناه
لم نسـال الى اين المسير
يا ضياع الشوق اسرفت
ولن تكشف عنها الحجبا

المنى تسخــر
يا ذكرى هوانــا
لا اعاد الليل ذكرى
واذا ما انعطف الـدرب
فمــا احراه ان يكتم عثرا
ساءني جرحك
لكن سرني اني بلا ليل خدوع
قد تــلاقت نظرات
واجـاب الصمت
هل اخفاك سرا

بغداد ـ الصرافية — نعمان ماهر الكنعاني



وحيد الدين بهاء الدين

سميرة عزام كما عرفتها

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

• • •

كانت غريقة في خضم المأساة .. في نظراتها ظلال شاحبة .. على كلماتها اصداء المحنة ... على ثغرها ابتسامة مبهمة ، ترسم بريشتها لوحة الفجيعة .. وفي الافـاق احلام وامال متعانقة تختلج بأسى ، كلحن جنائزي مثير .

بغتة احست بشيء يحبو في عروقها .. يمزق كيانها .. يجمد جوارحها كما لو كان عبثا طفوليا .

ولفظت انفاسها .. خرت صريعة .. انتهت كغيرها! لكن انتهت شهيدة حق تبسم للحياة بسخرية ، لان هـذه هي الحياة !! وتبسم للاخرين بذهول بارد ، لان هـذا هو شأن الاخرين .

تلك هي سميرة عزام .. الاديبة والقاصة .. الصحفية والاذاعية .. الانسانة والمرأة ، الأسرة بتواضعها وثقافتها .

ادت وظيفتها بما ملكت وان لم يتم تحققها كاملة متكاملة .. غرست الامل الاخضر في نفوس هؤلاء واولئك. سوف ينمو الامل ويزهر ، حتى تؤدي البطولات مراميها .. حتى تتجسد صورة التحرير ناطقة .. حتى يتحقق النصر الموزر .. وكيف يطيب للانسان عيش من غير امل. اليس هو طغراء الوجود الانساني ؟

اعلل النفس بالامال ارقبها ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

لقد نشرت سميرة عزام كثيرا من الفصول والابحاث في الصحف والمجلات . كذلك القت عبر امواج الاثير ، من اذاعات : الشرق الادنى . بغداد . الكويت، ايام عملها بها ، الوانا من التعليقات والاقاصيص ، فيالوقت الذي اصدرت كتبا شتى ، تتراوح بين الاصالة والنظرة الانسانية ، منها « أشياء صغيرة » ١٩٥٤ و « الظل الكبير » ١٩٥٦ و « قصص اخرى » ١٩٦٠ و « الساعة والانسان » ١٩٦٠ ، الى جانب ذلك ، نالت جائزة القصة القصيرة من جمعية اصدقاء الكتاب في عام ١٩٦٣ .

وكما اضطلعت بترجمة مجموعات قصصية من الانتاج الغربي ، لبرل باك . برنارد شو . سمرست موم . جون شتاينبك . ومن اليهم .. انما قصدت بهذا كله ، الى تطعيم الادب العربي المعاصر وتوسيع افاقه ، ثم تلوينه بعناصر الجدة والعمق ، لا لشيء الا ليكون قادرا على مواكبة التطور العالمي في الفكر والفن ، ومستوعبا كل اسباب الحياة ومشكلاتها ، وطموحات الانسان العربي التواق واهتماماته ..

هكذا انطوت اخر صفحة من صفحات عمرها القصير !

كانت سميرة عزام في طريقها من لبنان الى الاردن ، بعد حرب حزيران بقليل ، تقود سيارتها ، لتعود وقد ادركت الهزيمة وابعادها ، وهضمت الكارثة واثارها .. لتعود وقد كتبت بدم العقل والقلب ، عن النكبة الجديدة، كل ما هو حري بالتعبير والتصوير .. لتعود وقد عملت شيئا ذا بال ، ليكون هذا كله ، لبنة متميزة في صرح الادب العربي . اما يرتفع البناء يوما ما .. هـذا الادب الفائر الذي يخوض ، الى جانب السلاح ، معركة التحرير والمصير .

لا يحلو الموت الا في غمرة النضال الفكري والادبي .. في ذروة المحنة الروحية والعقلية .. في لجة المعركة الفاصلة ، لاسترداد حق سليب .. لارساء اخلاقية الحضارة الصحيحة ..

تطالعني اطياف باهتة من ذكرياتي الادبية عن سميرة عزام ..

في مطلع شهر شباط ١٩٥٧ كنت ببغداد في زيارة كما اعتدت ان اكون بها في مثل هذا الوقت من كل عام .. وفي مساء التاسع منه ، حضرت صحبة الصديقين : الدكتور صفاء خلوصي ومشكور الاسدي ، الى دار الاذاعة العراقية ، لتسجيل حديث عن « الطبيعة في شعر الرصافي » حيث اذيع في مساء الرابع عشر منه ... هناك اتفق ان لقيت سميرة عزام لاول مرة .. جرى بيننا التعارف ، اعقب ذلك حوار جادت به طبيعة الوقت ..

ودارت عجلة الايام ..

ذات ظهيرة من اواخر ايام الربيع وقد بدت بواكير الصيف ، وفي يوم الخامس والعشرين من شهر مايس ١٩٥٧ ، دق جرس الهاتف بمنزلي بقلعة كركوك الشامخة عبر عصور التاريخ ، فلما رفعت السماعة ، انساب عبر الاسلاك صوت كأنه الموسيقى التصويرية في سحرها

وروعتها ، والينبوع الثرار في صفائه وتدفقه :

ــ نعــم .. ؟

ــ سميرة عزام .. من الاذاعة العراقية ببغداد تتكلم معــك ..

ــ اهــلا ومرحبــا ...

ــ سيذاع الليلة ، وفي الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين ، حديثك عن الشاعر التركي : احمد هاشم .

ــ هذه محمدة منك .. شكرا خالصا .

ــ العفــو .. هذا واجبنا .

ــ وعلام تأخرت اذاعتــه ؟

ــ الواقع ، ما كنا نعرف شاعرا تركيا بهذا الاسم !

ــ واليوم ، كيف كانت معرفته ؟

ــ اتصلنا بشانه ، بالملحق الثقافي التركي ، ببغداد ... حيث اكد لنا ذلك ، معززا ما ذكرته عنه بالذات .

ــ غريب ان يجهل نابغة عراقي ، هاجر الى استانبول في طفولته ، ليكون احد المساهمين في حركة التجديــد والتطوير في الشعر التركي ، الى درجة ، حمل معهــا الاتراك على الاحتفال بذكراه في كل عام تقديرا لمكانتــه وتقويما لادبه الرمزي الرائع .. وعلى اطلاق لقب « بغداد لي احمد هاشم » عليه . حسبه وفاء انه خلد بغداد فــي قصيدته الشهيرة « قمري بغداد » ، وهو بها يصــف مظاهرها ومشاهدها ، معبرا عن احساسه الذاتي نحوها. نرجو ان نتولى يوما ما ترجمتها .

ــ . . . .

لقد تركت سميرة عزام في ذاتي اثرا جميلا بلورته الايام المتواردة .. لانه لم يكن الى تلك الساعة ، قــد تواصل بيننا حديث مستدام ولقاء فكري ممتع ، علــى هــذا المستوى ..

على ذلك جادت علينا الاحوال في ما بعــد بلقاءات ، كانت تثار فيها مختلف القضايا والموضوعات ، من فكــر وشعر .. الى فن وقصة .. الى صحافة وسياسة ، شهد بعضها صديقي مشكور الاسدي ، الذي كان يلازمني فــي اغلب الاحايين ، عندما كنت احضر الى بغداد من مدينتي كركوك .. بسبب من لطف شمائله .

في ضحى يوم الخامس والعشرين من شهر حزيران ١٩٥٧ ادركت بغداد بالسيارة . مساء زارني صديقــاي : الدكتور صفاء خلوصي ومشكور الاسدي .. في فنــدق « العاصمة » الذي كنت احل فيه .

واذكر ان مشكور الاسدي رغب الينا ، التوجه الــى دار الاذاعة العراقية لانجاز مهمة تخصه ، فاستجبنا لــه .. هناك ، وفي غرفة المذيعين ، صادفنا وجود المذيعات سميرة عزام وتغريد الحسيني وصبيحة المدرس ،وشخص اخر لا يحضرني اسمه .. رحبت بــي سميرة عزام ، وجلست على مقربة مني . بعد عبارات المجاملة ، سألتني قــائلــة :

ــ هل وصلت الى بغداد بالطائرة ؟

ــ لا .. بالسيارة .

ــ ولكنك سبق ان نوهت بقدومك على متن طائــرة ركــاب ؟

ــ صحيح هذا ... انما ــ وانا ابتسم ــ اقلعت الطائرة في موعدها المحدد . بينما السائق .. ســائــق السيارة الذي كان من المقرر ان يحملني الى المطار ضل به الطريق ، ولعبت براسه الحيرة . هكذا فاتتني رحلــة الجــو !

وسكتت .. واخذت تسدد نظرها في الساعة المعلقة على الحائط .. ثم كمن لا ينتظر منها شيئا ، وجهــت كلامها الى الحاضرين والحاضرات :

ــ من منكم شاهد الفيلم الايطــالي الرائــع « سارق الدراجات » ؟

وما كان من احداهن الا ان ترد بلا تحفظ :

ــ اوي .. هذا فيلم شيوعي ..

شمل الغرفة سكون هادىء ، بينما اخذت الوجــوه تتصافــح بذهول ..

وتركت تلك المذيعة الغرفة ، قياما بواجبها ..

هنا ، رفعت سميرة عزام رأسها ، وهي ما بــرحت مستغرقة ، لتقول بصوت خفيض مزيج بشبه استنكار :

ــ هــذا منــق ... !

وفي مرة اخرى وانا كالمعتــاد ببغداد ، اقترحت على سميرة عزام ان تلقي بنفسها حديثا اذاعيا لي كتبته عــن رائدة القصة التركية : خالدة اديب .. واذا بها تستوضح العلة في ذلك كلــه :

وكان ينبغي لي ان اجيب عن ما ارادت بمنتهــى الصــراحة :

ــ هناك اكثر من سبب يجمع بينكما . ذلك ان خالدة اديب تزاول مثلك فن القصة ، ثم انكما من جنس واحد ... حسبي هذا ..

ابتسمت سميرة عزام بثقة وروعة :

ــ وهــو كذلك ..

حيث القت الحديث المنوه به ، في الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين من مساء ٩ ــ ١٠ ــ ١٩٥٧ ، وكنــت مشدودا الى المذياع وتتلذ بكل مشاعري وخواطــري ، يملأني الزهو والانتشاء ..

ومن هنا جعلت سميرة عزام تلقي بعض احاديثــي الادبية بالنيابة عني من اذاعة بغداد ، بذلك الصوت الــذي تتموج على نبراته الحلاوة والرصانة ..

في اوائل شهر شباط من عام ١٩٦٥ انعقد ببغــداد مؤتمر الادباء العرب الخامس .. وفي قاعة (الشعــب) كانت اول اديبة تصافحها يدي بحرارة ، هي سميرة عزام من الوفد الفلسطيني ، وقد التقطت لنا صورة تذكاريــة ما زلت محتفظا بها في (البوم) الادباء ، وضمت اضافــة

كلنا يلاقي الدليل

نسم الفجر فهيا — نقصد النبع النمير
ونروي القلب من — ماء فرات سلسبيل
يا حياتي

رقرق الماء انسيابا — هادئا بين الصخور
منميا زهرا نديا — نافحا طيبا بليل
يا فتاتي

غرد الحسون يدعو — لطف ربات الخدور
اثمر اتكرم تلالا — حبه عقد اصيل
للبنات

لثم النحل الورود — وهفا نفح العبير
وصفا الجو وضاءت — نونة الخد الاسيل
يا مهاتي

اقبل الراعي يغني — قرب رقراق الغدير
رجع الصوت ونادى — بحنان لا خليل
في الفلاة

رفرفت سرب الطيور — فوق اغصان تمور
واتى الصياد يلقي — الرعب في الروض الظليل
يا لذاتي

اترك الطير وشانه — وابرح الحقل النضير
كل ظالم سوف يلقى — النعي في وقت جليل
او غداة

ليس عند الله ظالم — او محاباة النصير
اطلبوا العدل وقولوا — كلنا يلاقي الدليل
بالممات

عيسى ميخائيل سابا

الى كلينا الدكتور خليل حاوي من لبنان وعبد الرحمن مجيد الربيعي من العراق .. الا انني رأيت سميرة عزام في هذه المرة وقد تغضنت قسماتها ، وتغيرت ملامحها بفعل الحياة الدائرة كالرحى ، حتى اشفقت عليها في قرارة ذاتي ..

اسهمت سميرة عزام في جلسات المؤتمر ببحث قيم عنوانه « دور الادب في معركة فلسطين » نشر بكامله في الكتاب الضخم الذي طبع بجزئين في ما بعد . ومن ما قالت فيه : « دور الادب في معركة فلسطين واستعمال كلمة معركة هنا بدلا من كلمة قضية ، يحمل في تضاعيفه ايحاء قائما على حقيقة الشعور بان حتمية المعركة قدر من اقدار هذه الامة ، تمتحن فيه اصالتها وجدارتها بالحياة .

وبقدر وعينا لهذه الحقيقة ينبغي ان يأتي انفعالنا بها .. ومن هذا العمل الانفعالي تتفجر الوان التعبير عن ملامحها .. » .

كان ذلك اخر عهد لي بسميرة عزام شخصيا ..

ولم يكن كذلك بالنسبة الى انتاجها الادبي والفكري الغزير ، المتمثل في الوان من المؤلفات والابحاث والترجمات وهي تثري العواطف والمشاعر ، وتحرك البصائر والاذهان .. ثم تمهد الدرب للذين يفتقرون ويتشوفون الى منابع لا تعرف نضوبا ، ما دام في نفس العربي عرق ينبض ، وروح ابدا تختلج ..

عليها الرحمة .

بغداد — وحيد الدين بهاء الدين

جذبه من احضان الكرى صوت غريب ...عبرت جسده رعشة خفيفة ...

زحفت يده المرتعشة الى كتف اخيه الراقد بجواره :

ــ سعيد ... سعيد

في صوت ينبض بالضيق والطمأنينة :

ــ لا تخف ... انه احد الفيران الذي يقرض باسنانه الحادة الجائعة الخشب ... اجذب الغطاء على وجهك وهيا لتنام .

راح يتململ ... يتعجل الصباح ان ينبلج .. ماذا يفعل عندما يسافر اخوه الى القاهرة ؟ من الذي سيدافع عنه عندما يعتدي عليه فتيان القرية ؟

ذات يوم قذفه احد الاطفال بحجر اصاب راسه...انطلق في الشارع يعدو وهو يتاوه...كلب اصيب بطلق ناري.

ــ سعيد ... ابراهيم بن الحاج عمران ...

وضع على الجرح قليلا من البن .

ــ طفل يصيب راسك بحجر وتدعه بدون عقاب ؟ .. الى متى سأظل ادافع عنك ؟

ــ انسيت انك اخي الاكبر ؟ ..

ــ لست ادري هل ستظل طول حياتك كنبات البطيخ تزحف على الارض .. ؟

ــ ماذا افعل ؟

ــ عليك ان تقيم لنفسك دعائمها

ــ كيف ؟

ــ اطرد الخوف المعشعش في صدرك .. والا اصبح قفاك هدفا لصفعات الكبير والصغير .

ــ ولكن ...

ــ اذن ستظل تحبو على الارض كالكسيح .

لمح نرجس قادمة من بعيد على الجسر ... هفا قلبه بين ضلوعه .. عقد العزم ... سيحدثها بما يختلج به صدره .. دارت عيناه المتشيتان حوله .. ليس هناك احد ... رمى الجاموسة التي تلتهم الحشائش النامية على هدبي المصرف بنظرة محذرة ... اياك ان تمدي لسانك الثعباني الى اوراق الذرة .

وضعت نرجس الجرة على شاطىء الترعة ... جلست تحدق في الماء ... ترى وجهها في صفحته ... تناولت الجرة بيدها اليمنى ... رفعت ثوبها عن ساقيها قليلا ... تسارعت ضربات قلبه ... تلفتت حولها ... غزال مطارد ... وقع بصرها عليه ... انبطح على بطنه ... راح يعب من ماء الترعة ... بصقت في صدرها .

معاتبة :

ــ الله يجازيك يا حسن ... ماذا تفعل هنا ؟



بقلم عبد العزيز الشناوي

اكتسحه خوف وخجل وتردد عربيد ... الجم لسانه ... اين كلماته التي اعدها ورددها مرارا ؟ تبخرت ... تلاشت ؟ لماذا يقف كالابله ؟ ...

تنهدت .

ــ هل تستطيع ان تضع الجرة فوق راسي ؟ (ضحكت ..) .. لان ذراعي تؤلمني

في لهفة :

ــ سلامة ذراعك ... الف سلامه

اطبق على اذني الجرة بيديه ... وسدها فوق راسها ... زحفت على



شفتيه المليئة بالبوار شبح ابتسامة ... دهمهما صوت اجش :

ــ الله ... الله ... يا ولد يا حسن .

انتفض عندما وقع بصره على عثمان بن شيخ الخفر يهتف باسمه ... اردف في صوت يوشي بالوعيد:

ــ تأتي الى الترعة لتغازل نرجس وتترك الجاموسة تأكل وتتلف اعواد الذرة ... في ارضي ؟ والله لن اتركك بدون « علقه » يا ابن الـ ...

قضم كلماته المتدفقة ... راحت يده تصفع قفاه ... احاط حسن وجهه بذراعيه ... تكور حول نفسه ...

تطلع عثمان الى نرجس ... وضع على زاوية فمه بسمة ماكرة ...حبت يده على عنق حماره المدندش بالبردعة الملوكي

همس :

ــ على العموم هناك مثل بيقول « غول البال تهد الجبال » ... وانا لن يتسرب اليأس الى قلبي ... ورهن اشارتك ... يا جميل

اضطرم صدر حسن بالغضب ... جنح الى الصمت .

ركب عثمان حماره ...راح يطعن حسن بنظرات تفيض بالسخرية...ثم انطلقت ضحكاته الهمجية الرنانة..

اغتصبت نرجس بسمة هادئة تخفف بها من ضيق حسن...جرت يدها على راسه في صوت هامس يفيض بالحنان :

ــ لا تغضب ... انه وقح ... طلب يدي ورفضت ... صدقني اني لا احبه ... ولكن

ــ ولكن ماذا ؟

ثبتت الجرة فوق « الحواية » جيدا...مدت يدها في جيبها... بسطت اصابعها على قطعة من الحلوى... تطلعت نحو عثمان... حامت حول قطعة الحلوى ذبابة لوح... طوحت بيدها الاخرى... انطلقت الذبابة... قدمت الى حسن

انام على هم

دعينياقاسي الياس والبث والهما بقفر بـه الاسقـام تلهمني لهمـا

تلازمنـي الحمى ، فارقص راجفا على الجمر ،والليل البهيم قد انهما

فمن ابرة في الجسم من بعد اختها رايت بهـا الالام تلقمنـي لقمـا

وقد وضعوا في ساعدي كل آلـة ارتني شعاع الشمس اغربة عصما

فيـا ويلتـي مـن شـاعر متالم كان بجسمي الهول يلطمه الطمـا

وكيف لمن غنى بـه الدهر حقبـة تجـرعه الالام مـا يفلق الصمـا

يعيش علـى اعصابـه في محلـة من الكون لم يانس بارجائها غنما

غريـب بها الا عـن الله ، انـني تخطيت من الطافه النوب الدهما

وقدفاضت الانوار فيالنفسفيضها فراحت تحث الخطو للعالم الاسمى

هنالك حيث الله يحنو على الالى بلوا منعذابالارضما يرهقالشما

هنالـك جنـات عراض يحفهـا مصابيحدرتكسفالشمس والنجما

هنالك امشي فـي رباها مرنمـا اخط بلـوح الشعر آيته العظمى

وبعد قضائي في ربى الخلد ساعـة رجعت لارض همها يطحن الجسما

انـام علـى هم واصبح موجعـا واذرف دمعا حال من لوعة دمـا

وانشد اشعاري ومـا ثم فـاهـم ومن لك بالشعر الذي يفهم العجما

ومن كان ذا انف حمي فعيشـه عذاب يثير النفس ان تبلغ الاسمى

وهل شاعر يرضى المذلة فيالورى ومذ كان طفلا يانف الذل والظلما

رضعت حليبا يعربيـا ، وامتـي على يدهـا حكم البريـة قدتمـا

ومن سخرياتالدهر اسريل اصبحت تهددنا لؤما عـن اللؤم قد نمـا

رويـدا بني السكناج مهما قويتم وعربدتم ، انـا سنطرحكم يمـا

فمـا ضاع حق في الحياة لطالب وان فلسطينـا سنرجعهـا حتما

وان لنـا ثارا سنسعـى لاخـذه وفي زحمـة الاحداث نبلغه رغما

سنعمـد للاهوال نذكـي اوارها ونصمـد للاواء نجشمهـا جشما

ونبذل في رد البـلاد دماءنـا ونطلق ارواحـا لخالقها تنمـى

يجود بها في زحمة الخطب باسل يرى الفخر كل الفخران يحطم الخصما

ونكسر من صهيون راسا معششا به الحقد لا يدري لمكرمة اسمـا

لاباز ـ بوليفيـا **جورج كعدي**

قطعة حلوى... في صوت يرتعشـ بالخجل :

ـ سوف يسافر اخوك سعيد الى القاهرة بعد ايام قليلة ليلتحـــق بالجامعة ... من الذي سيدافع عنك بعـد ذلك ؟ هيه .

غرس بصره في اغوار الترعة ... يريد ان يصل الى الظلمات المتراكمة التي تخبيء في جوفها شيئا مجهولا ... لا يراه ... لكنـــه يحســ بوجوده .

احس بقطعة الحلوى في يده ... تعلقت عيناه بعيني نرجس المتسائلتين ... ارتجفت اهدابه ... حملـت خفق قلبه ؟ ... اشعلـت كلماتهـا ونظراتها الدافئة في صدره نيـران السخط والحنق في نفسه ؟

قذف بقطعة الحلوى في فمه ... وثب نحو شجرة التوت ... انتزع احد اغصانها ... شدد قبضته عليه ... راح يرشق عثمان بنظـــرات نارية ... انطلق وراءه واهاجمه ؟..

لأثار لكرامتي الجريحة ؟ ... انهـا فرصة سانحة لانفث فيه بعض احقادي القديمة .

كست وجهه سحب التردد ... ابتسمت نرجس مشجعة ... قرات ما يجول بصدره ؟ ... لوح بعصاته ... متوعدا ... انطلق وراء عثمان اخذ يلاحقـه بسبـــاب جارح ... اسمعه .؟. لقـد ابتلعتـــه اعـواد الذرة ... ؟؟

المنصورة **عبد العزيز الشناوي**

في بيت العقاد

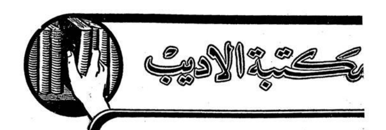
زار الشاعر بيت العقاد بعد ان خلا من صاحبه العظيم ، فانشد هذه القصيدة

ها هنا كانت لـه الدار القرار   فأتيناها حجيجا للمـزار
سمته ما زال فينا والرؤى   لم تزل خضراء ، واللون نضار
من هنا كانت له في وكره   خطوات المجد من غير عثار
ظل يحبوه فما مل ولا   كل عزم لا ولم يفتر اوار

ايها الراقد في اسوان مهلا   لا ترع ان حال بعد او ستار
هذه آثارك الجلى التي   غصت الساحات فيها والديار
انها خير دليل ان من   كان للفكر خليلا لا يضار
فاذا ما فات حظ او نبا   بك دهر او تشناك الصغار
فلقد كنت وما زلت لنا   كبرياء العقل ان هان الكبار
فلتكن فينا كما كان الالى   سبقوا بالمجد عنوان الفخار
تتهاوى دون اطماحك اغرا   ض دنيات فيزهو بك غار
خلتها من شرف النفس فكانت   لك في العين مثالا ومنار
خلتها العقبى فكانت لك اولى   بل وعقبى ، ثم كانت لك دار
فامض كالنسر عزيزا شانه   دونه السفح مباء للبوار
ان من رام مقاما مثلما   رمت من دنياك فليحم الذمار
وليصنه باباء ، بشموخ ،   بدماء ، بدموع ، باقتدار
وليجرد عزمه للفكر حتى   يصل الشعلة في ليل السرار
كل جاس او عصي كل ما   كان فينا مستحيلا او نفار
كنت تغزوه بفكر ثاقب   فاذا بالكل مجلو جهار
ولكم ادبت بالفكر دعيا   فاذا الدعوى وداعيها عوار
وجهول نزق الراي غدا   في بحار الجهل مخلوع العذار
رحت بالحكمة توري وعيه   بعدما طال به عهد الخمار
ايها الراقد في اسوان هل   جاءك الخبر بأصحاب خيار
ها هم الساعون جاءوك وقد   طال بالساعين مطل وانتظار
من رجال دابوا عيش الذرا   واقتحام الصعب من غير حذار
بوفاء العلم جاءوك وقد   شدهم شوق الى هذا الدار
يا اماما لهم علمتهم   ان درب المجد بذل واصطبار
فمضوا بعدك رسلا في الورى   يرفعون العلم والحق شعار
فلتنم عينك في مهد الرضا   بعد ان جددت بالصحب المسار
فلقد فزت بكلتا الحسنيين   لما جاوزت بالسعي المدار
ان من رام على الدهر بقاء   كان بالكد كما يبغي وصار
ذلك الدرب الذي قد جزته   في صراع العمر مشبوب الاوار
لم يكن منك اختيارا عن هوى   او مراد غره منك اغترار
لا ولا كان لادنى مارب   من متاع العيش او نعمى اليسار
انما كان لغايات العلى   ولمجد الدهر ان عز الخيار
فلتعش فينا على الدهر رؤى   ومثالا من امان وادكار

القاهرة

حسين خريس



نظام الحكم في الشريعة والتاريخ

تاليف ظافر القاسمي ـ ٦٠٠ صفحة ـ الجزء الاول ـ دار النفائس بيروت سنة ١٩٧٤

عرفت صديقي الاستاذ الباحث الكبير ظافر القاسمي ـ نقيب المحامين الاسبق بدمشق واستاذ العلوم الاسلامية في الجامعة اللبنانية اليوم ـ عن طريق والده المرحوم الاستاذ جمال الدين القاسمي امام الشام وشيخ رجال الحديث فيه في عصره ، وعن طريق عمه المجاهد الثائر المصلح صلاح الدين القاسمي ... ثم عرفته بعد ذلك عن طريق جده العلامة الشيخ محمد سعيد القاسمي صاحب « قاموس الصناعات الشامية » ، او صاحب الجزء الاول منه الذي اكله واستدرك عليه في الجزء الثاني ولده الامام جمال الدين ، ومساعده خليل بك العظم .

ولم يتح لي بالطبع ان اتعرف الى الامام جمال الدين القاسمي تعرفا شخصيا ، فهو بالشام وانا بمصر ، وهو قد ادركته المنية في ١٨ ابريل سنة ١٩١٤ ، وانا في ذلك الحين طفل ادرج نحو الثامنة من العمر ... ولكني عرفته من مؤلفاته ، وخاصة تفسيره العظيم ، الذي القي الي عبء مسؤولية توزيعه وانا في موقع المسؤولية بمؤسسة المطبوعات الحديثة ـ رحم الله ايامها ـ كما عرفت شقيقه المرحوم الدكتور صلاح الدين القاسمي ـ الذي لم يكمل في الحياة ثلاثين عاما ـ من الكتاب الذي يضم آثاره الفكرية والادبية والذي قدم له وحققه المرحوم الاستاذ محب الدين الخطيب ، ونشر في مصر سنة ١٩٥٩.

ومن هنا كانت معرفتي بالعلامة الشيخ سعيد القاسمي ـ جد صديقنا ظافر ـ والامام جمال الدين ـ والده ـ والدكتور صلاح الدين ـ عمه ـ معرفة روح ولقاء فكر ... وهي معرفة امتعتني ، وافادتني، وامدتني بفيوض من العلم والمعرفة ، زمانا طويلا ، ولا تزال تمدني وتنجدني كلما التمست منها علما فاتنسه ... اما معرفتي بالاخ الوفي ، العالم الثقة ، ظافر القاسمي ، فقد جمعت بين لقاءالارواح، والتقاء الاشباح ...

لقد لقيت الصديق « الظافر » في القاهرة ، ثم سعدت بلقائه في الشام ، فما رايت له مماثلا في الود والهيبة والوقار وحسن السمت وصفاء الطبع وعفة اللسان وكرم اليد والتطول بالفضل ... الا قليلا من الرجال يجمل الله بهم تجهم وجه الزمان من حين الى حين ... ثم لقيته في بضعة من كتبه ، من امثال : « وثائق جديدة عن الثورة السورية » و « فصول في اللغة والادب » و «مكتب عنبر»، و « ابي جمال الدين القاسمي » فلقيت فيها العقل والحكمة ، والاناة في الدرس، والروية في البحث ، وصحة الاستنباط ، وصحة اللغة ، ونقاوة الاداء، ولطف الحديث وجاذبيته ، حتى لا تكاد ترفع طرفك عن صفحات كتاب له الا بعد ان تاتي عليه كله في جلسة تطول ولا تنقطع الا لضرورة من ضرورات الحياة ، واذا بك بعد ذلك مكب على الكتاب لا تبعده عنك حتى تفرغ منه كله ، ثم تتمنى لو كان له بقية ...

وما اكثر الكتب التي يقرؤها الناس ويتمنون ان يتخلصوا ـ او يتخلصوا منها ـ ولكن كتب الاستاذ ظافر القاسمي تجذبك اليها جذبا ، وتحملك على طلب المزيد منها ، وتسوقك سوقا ملحا الى السؤال عما له غيرها من مؤلفات ... لان لهذا الرجل،نبع الاسرة الصالحة المصلحة، وفرع الروح الزكية النقية ، اسلوبا طريفا في العرض يشوقك محدثا اذ اصغيت اليه او يشوقك كاتبا اذا قرات له .

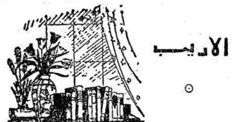
وقد اسعدني الاستاذ ظافر اخيرا بكتابه الجديد « نظام الحكم في الشريعة والتاريخ »، فحسبتني امام كتاب من كتب انظمة الحكم في الاسلام ، ولكني وجدت نفسي امام محيط زاخر من الفقه والتاريخ والسيرة النبوية والحديث والغزوات وتاريخ الفكر العربي والحضارة الاسلامية .

وما ظنك بكتاب تجد من ابوابه وفصوله : العرب قبل الاسلام ، وسياسة الرسول ، وقواعد الحكم ، والحرية والشورى والمساواة في الاسلام ، والعدل ، والمعارضة ، والنقد الذاتي، والخلافة ، والعهد وولاية العهد، واهل الشورى ، واهل الحل والعقد، والبيعة والمبايعة، وصفات الخليفة وواجباته وحقوقه ، والقاب الخلافة ، وطبيعة النظام السياسي في الاسلام ، ومبدأ التفريق بين السلطات ، والوزارة ما بين مشرق ومغرب، وادب الوزير عند الماوردي، وسياسة الوزراء مع الخلفاء ، والملك والسلطة ، والولاية والولاة ، وتعيين العمال وحقوقهم وواجباتهم ، والتفتيش ، والاستقالة ، والتاديب ، والامارة في عصر الرسول وبعد عصره ، واوضاع الامراء وادارتهم ، وصلاحهم وفسادهم، والامارة العامة والخاصة، وامارة الاستيلاء، والقود من الامراء ، او مبدأ مسؤولية الدولة ، ووصايا العمال ...؟

الحق ان هذا الحشد الحاشد من رؤوس المسائل والموضوعات قد وجد من علم صديقنا المؤلف ، ومن فقهه ومعرفته بالقانون الحديث والقوانين الشرعية ، ومن سعة اطلاعه واحاطته باكثر ما ينشر وما نشر حول هذه المسائل ما جعل البحث يستفيض ، والدراسة تطول وتعمق ، والتعليق يكثر ويتشعب ، والمناقشة تحمى وتزيد ، والقضية تتضح في نهاية المطاف ، حيث يستقر الرأي السليم ، والنظر الحكيم.

ولم يكد يفلت كتاب او بحث او دراسة او راي قديم او محدث، شرقي او غربي، يتصل بهذه الكثرة الكاثرة من المسائل الا استحضره المؤلف ، وعرضه في جلاء ، وناقشه في هدوء ، وجادله في اتزان واعتدال، وفي غير تعصب او تحيز ... فهو يعرض رأي الاب لامنس في ان الوفود على معاوية كانت تمثل البرلمانيةعند العرب ، وهو يعرض رأي رفيق بك العظم في الشورى في عهد الخلفاء الراشدين ، ويعرض آراء للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والدكتور طه حسين، والدكتور علي حسني الخربوطلي . ولا يسكت عن رأي الخربوطلي ، ولكنه يعقب عليه ، ويبين بعده عن الحق، ومجافاته للصواب ، وهو يعرض رأي الدكتور منير العجلاني في بيعة ابي بكر ـ او في عهده الى عمر بالخلافة من بعده وقد ثقل عليه المرض ـ ويناقش صديقه العجلاني فيما قاله في كتابه : « عبقرية الاسلام في اصول الحكم » حيث يقول : « ونحن لا نتصور ان ابا بكر ، وقد ثقل عليه المرض كان معنيا بمجادلة الصحابة واقناعهم بقبول عمر عن رضى واختيار ، حتى قبلوا به واجمعوا عليه، ولا نتصور كذلك عمر بن الخطاب يأخذ البيعة لنفسه ، وصاحبه ابو بكر يعاني سكرات الموت .» ويعترض المؤلف على هذا « التصور » بانه لا ينهض حجة في علم مصطلح التاريخ.

ويمتاز الكتاب الذي نعرضه اليوم للصديق ابي جمال الدين بكثرة المناقشات فيه، فهو لا يسكت عن كثير من القضايا حول مبادىء نظام الحكم في الاسلام، ولا يقبلها على علاتها مهما كان لاصحابها من قدر. ولكنه يناقشها في ادب العالم المتمكن ، وفي علم الباحث المتثبت، وفي هدوء الدارس المؤمن ، فلا يشتط ولا يشط في يده قلم ، ولا ينبو



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي

٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الأنصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ٨٠ ل.ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩
المنزل : ٢٢٥١٣٩

☎ Dir : 223819
Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

به لسان، ولا تكبو به عبارة ، ولا تصادفك منه في خلال النقاش لفظة نابية ، او كلمة جافية . وانما هو دائما ذلك العالم الفقيه الهادىء الذي يقرع الحجة بالحجة ، ويقذف الدليل بالدليل .

وحين تحدث الاستاذ ظافر القاسمي في الباب الرابع من كتابه عن حكومة الرسول ، فانه يجيب في فهم ووعي عن هذا السؤال القائم : هل اقام الرسول حكومة ؟ وعرض لما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الصدد في كتاب « الحسبة »، وما جاء به الامام ابو الحسن الخزاعي المتوفي سنة ٧٨٩ هـ في كتابه : « تخريج الدلالات السمعية »، وما شرحه به عبد الحي الكتاني ـ من علماء المغرب المعاصرين ـ في كتابه « التراتيب الادارية » المطبوع في الرباط سنة ١٣٤٦ هـ، وما ذهب اليه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ، وما ذكره الاستاذ الشيخ علي عبدالرازق في كتابه : « الاسلام واصول الحكم » الذي اثار في مصر ضجة حينما ظهر في سنة ١٩٢٥ ، فقامت قيامة النظام الحاكم عليه ، وحوكم صاحبه وحكم عليه باخراجه من زمرة العلماء...

الحق ان في كتاب « نظام الحكم في الشريعة والتاريخ » علما كثيرا، وفيه صور رائعة مشرفة لنظام الحكم في الاسلام ، وفيه من مناهج البحث العلمي ما يجعله جديرا بان يدرس في الجامعات العربية، كما ان فيه من المعارف المتصلة بتاريخ الاسلام ونشاته وادوات الحكم فيه ما يجعله مددا صالحا للقارىء العربي مهما كانت ثقافته .

ونرجو ان يوفق الله صديقنا المؤلف الى اصدار الجزء الثاني من هذا الكتاب حتى يستوفي البحث اجله ، ويستكمل الموضوع مادته ، ويستقيم لنا من ذلك كله كتاب متكامل تفخر به المكتبة العربية ،وتباهي به ، كما تباهي به الامة العربية الاسلامية ، وتقول في اعتزاز : هاؤم اقرءوا كتابيه ...

القاهرة **محمد عبد الغني حسن**

•

ابو حيان التوحيدي

في قضايا الانسان واللغة والعلوم

تاليف الدكتور محمود ابراهيم ـ ١٢٨ صفحة ـ من الحجم المتوسط ـ الدار المتحدة للنشر ـ بيروت

حمل الي البريد هذا الكتاب الخالد ، وانا في قلق نفسي ، واضطراب صحي، فرغبت في تاجيل الكتابة عن هذا السفر ، بعد ان تكون سحابة القلق قد تشتت شملها من سماء قلبي ، ورداء صحتي قد رفي ، وعاد الى الاحاطة بجسمي الواهن ، وما كاد ينسلخ يومان من عمر الزمان حتى مددت يدي الى الكتاب لاقرا مقدمته . وما كنت افعل ذلك حتى سيطرت المادة الدسمة على ارادتي فلم الق الكتاب الا بعد ان قرأت فصوله المتعة الاربعة كلها ، وعشت مع الاستاذ مصطفى الزرقاء في مقدمته الرائعة التي حاول فيها جهده اطلاعنا على اهم المواد التي اراد المؤلف الفاضل تركيز بحوثه عليها ، كابراز قدرة التوحيدي الفائقة في اللغة العربية ، من حيث متانة السبك ، وقوة العبارة ، ووضوح الفكرة ، واظهار ما للعربية من مميزات كالاشتقاق والنحت والتركيب والتعريب . ثم اطراؤه اكثار المؤلف من النصوص التي يقل فيها عبارات ابي حيان بحروفها في شتى الموضوعات . وانتحاله العذر للتوحيدي ، الذي كان يكثر من اللجوء الى السجع ، لان ذلك كان طابع عصر التوحيدي ، والصاحب بن عباد ، وابي بكر الخوارزمي، وبديع الزمان الهمذاني .

وقد راى الاستاذ الزرقاء ان لابي حيان ميزتين بارزتين ، احداهما ثقافته الفكرية الواسعة (الموسوعي)، والثانية سيطرته التامة على اللغة (اللغوي) ، الذي لم يستعص عليه البيان مرة، مهما دقت الفكرة، وصعب اداؤها .

ثم أثلج صدري دفاع المؤلف العملاق عن الضاد ، واثباته،باسلوبه العلمي الهادىء الرصين ، ان لغتنا العربية غير عاجزة عن مواكبة الحياة الحديثة ، والتعبير عن معطياتها عامة، وفي ميدان العلم والتقنية (التكنولوجيا) خاصة .

ثم ركز الدكتور محمود ابراهيم ، في فصول الكتاب الاربعة، على تشبث التوحيدي بالحياة وتعلقه بها ، وابدى اعجابه ببراعته في بث الشكوى مما الم به في دنياه من اخفاق ، وقدرته العظيمة على وصف عجزه، وشعوره المض بالغربة خلال عمره الطويل كله ، وبراعته الفذة في نقد ذاته نقدا ، كان يعنف فيه في كثير من الاحيان ، واجادته وصف ما كان ذا صلةبتطلعات الانسان ، وامانيه ، واحلامه التي يتنزه خياله في رحابها .

ثم اشار المؤلف الحجة الى ابداع ابي حيان في جميع ما كتبه عن المودات والصداقات ، وحاجة الانسان الماسة اليها في حياته ، لان الانسان فطر على ان يكون اجتماعيا بطبيعته ، واجادة التوحيديوصف المرء عندما يصبح في ارذل العمر ((ومن نعمره ننكسه في الخلق افلا يعقلون ؟)) ، بعد ان جرب ذلك بنفسه ، وهو الذي تجاوزت سنه المائة عند وفاته .

ثم اشار المؤلف الى اتقان التوحيدي وصف الانسان وهو في اشد حالات الوجد والنشوة .

وذكر بعد ذلك ان التوحيدي عربي الاصل ، وليس فارسيا كما خيل الى بعض من كتبوا عنه، مما جعله منحازا الى العرب والىلغتهم ومجدهم انحيازا عظيما .

ثم أثبت قدرة ابي حيان على ان يستقصي في نصوصه خصائص اللغة في غزارة مفرداتها ، وما بين الفاظها من ترادف او تقارب وتناظر وتقابل ، وقابليتها للاشتقاق ، والتواؤم الموسيقي بين كلماتها .

واطرى الدكتور محمود بعد ذلك اجادته اختيار اللفظ المناسب للمعنى الذي يريده ، لان له احساسا فنيا عميقا بالمفردة اللغوية ، واشاد بقدرته العجيبة على انتزاع التشبيهات من مصادر مختلفة ليثبت ان اللغة العربية قادرة على التعبير عن المعاني العلمية الدقيقة العميقة بسهولة ويسر ، بعز وجود مثلها في اللغات الاخرى ، ثم اثنى على احاطة التوحيدي التامة بمعاني حروف الجر ، ووجوهاستعمالها.

وفي الفصل الرابع والاخير ((قضايا الفلسفة)) يذكر حوارا جدليا تبدو فيه للقارىء قدرة ابي حيان العجيبة على ايرادات الحجة من جانب، ((والقدرة على نقضها بالبرهان العقلي من جانب آخر،مع تلمس للثغرات التي يمكن النفاذ منها ، ومهاجمة الخصم من نقطة الضعف في حجته. وكل ذلك يدور في نطاق العقل المتفتح ، المسلح بالثقافة والمعرفة وقواعد المنطق ، والالمام بمداخل الكلام ومخارجه ، والاستيعاب الذكي لمدلول العبارة ، ثم الرد عليها بالعبارة المناسبة ، والكلمة المتخيرة المنتقاة لاحتلال موضعها الصحيح في بنية العبارة)) .

ولا بد لي في الختام من تهنئة الاستاذ الجامعي النابه الدكتور محمود ابراهيم تهنئة حارة بهذا السفر النفيس ، الذي احسن في وضع شروحه في نهاية كل فصل، مسلسلة حسب ورودها في المتن ، والذي دافع به عن لغتنا العربية دفاعا مجيدا ، رائده العقل والبرهان ، ومقارعة الحجة بالحجة .

حفظ الله اديبنا الكبير للعرب والعروبة ، والى اللقاء في ربوع القدس ، مدينة المسجد الاقصى ، وكنيسة القيامة ، وقلب العروبة النابض ، وعرين المطران كبوجي.

محمد العدناني

رقصات الخريف

ديوان شعر ليوسف امين قصير — ٧٢ صفحة — مطبعة (؟)

على صغر حجمه وقلة عدد صفحاته التي لا تتجاوز الاثنين والسبعين صفحة فقد اثار فيَّ هذا الديوان تفكيرا عميقا . ان صاحبه شاعر بحق وحقيق ولم يصطنع الشاعرية او يتظاهر بها كثيرين من شعراء هذا الجيل ، ذلك لانه اذا ما خانته قريحته في الشعر العمودي لجا الى الشعر المنثور او ما يسمونه بالحر ، وقد ينظم مطلع قصيدة فلا يفتح الله عليه باكثر من ذلك فيعترف لك بصراحة ان شيطان شعره قد خانه ، على نحو ما فعل فيمرثيته لابنته التي قضت ولما تتجاوز الثامنة اذ قال (ص٣): ((وقد اردت رثاءها وبدات بنظم قصيدة مطلعها :

يا موت، يا وحش، يا فتاك، ياقذر من بين عينيك نار الشعر تستعر

ولكنني لم اجد من الالفاظ والمعاني ما يعبر عن احاسيسي فتركتها))

لقد ارتج عليه لشدة حزنه فكان هذا عندي ابلغ رثاء ولا يضارعه في بلاغته الا دمعةسعد زغلول يوم نهض خطيبا ذات مرة فارتج عليه فبكى فقيل ((دمعة سعد كانت ابلغ خطبة !)) وكل ذلك مصداق لقول جبران : ((عندما تعظم المصيبة تصبح خرساء)) اسمحوا لي ان اقول: لقد احببت هذا الشاعر واحببت صراحته فهو انسان بكل ما فيالانسانية من معان سامية ، وهو خلو من الانتهازية المقيتة التي فتكت بالملايين من ابناء عصرنا حتى اصبحت داء العصر بحق وحقيق وبه سيعرف وبميسمه سيوسم ، فما احيلاه حين يقول (ص٧) : ((لم احاول فيجميع ما نظمت ان اتكلف مواضيع معينة افرضها فرضا على نفسي او انظم في مواقف خاصة تساعدني على الظهور والشهرة ، بل نظمت ما نظمت بوحي باطني امتد الى مشاعري واحاسيسي عن طريق الوحي الشعري)).

وقد اعجبني قوله (ص٤٩) :

كن في حياتك مشعلا او صرخة للحق ، لا تطو الزمان مضاعا !

كما اعجبتني قصيدته ((وطني يضيع)) (ص٣١) وقد نظمها فيتشرين الثاني ١٩٦٧ رغم انني لا اميل الى الشعر الحر كثيرا ولكن المعاني

الجميلة فيها انستني تعصبي التراثي لعمود الشعر فشكرا للاستاذيوسف امين قيصر على هديته فهي جديرة بان توضع الى جنب الدواويــــن الاكسفوردية في مكتبتي.

اكسفورد **صفاء خلوصي**

•

في ريــاض الفكر

تاليف عبد الرزاق البصير ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

هذا اخر كتاب صدر للاديب الكويتي الكبير اللامع الاستاذ عبد الرزاق البصير وقد تسنى لي ان اقرأ بعضه في الكويت فاقطع شطرا من الليل في لذة ومتعة هي من انفس المتع التي تدخلها قراءة كتاب ادبي نافــع، حلو الحديث ، مشرق الديباجة ، علي النفس ، وقرأت الشطر الاخر منه في الطيارة، واتممت قراءته ببغداد ، والكتاب هذا يحتوي على ثلاثة فصول ، اقتصر الفصل الاول منه على مقالات ، ومحاضرات تناولت موضوعات مختلفة من مواضيع الادب والحياة ، وتناول الفصل الثاني تراجم طائفة من مشاهير رجال الادب المتقدمين والمتاخرين، اما الفصل الثالث فقد اقتصر على نظرات للمؤلف في بعض الكتب التي قرأها .

والاستاذ البصير كثير الشبه بالمرحوم الدكتور مهدي البصير ، فقد نشأ هو الاخر خطيبا ، والخطابة ـ لا سيما اذا كانت صفة عامة للشخص ـ تتطلب حافظة تختزن القدر الواسع من المرفة ، والقـدر الواسع من الاحاطة بالتاريخ ، والادب ، بكل الوانه ـ اذا كان هــذا الخطيب ممن ينزعون الى الادب ـ ثم تتطلب حسن الاداء ، ليجتذب الخطيب بذلك النفوس ، ويشد اليه القلوب ، ويرهف الاسماع، وزاد الاستاذ عبد الرزاق البصير ، كما زاد الدكتور مهدي البصير على ذلك ان كان اديبا ، وان صفة الاديب الحق، تتطلب موهبة يستطيع بهــا الاديب ان يزن الامور بميزان المنطق السليم ، وان يتحرى الحقائـق، ويأتي بالجديــد من الافكــار ، وقد اوتي الاستـــاذ عبد الرزاق حظا كبيرا من هذه الناحيـــة ، فعبر كتابـه هذا عن هذه المواهب خــير تعبير ،فلم يكن البصير بعد هذا وجه الكويت الثقافي المشرق وحسب، وانما كان من وجوه الثقافة العربية ،خطابة وادبا.

فها هو ذا يتناول في الفصل الاول من « رياض الفكر » موضوعات مهمة ،يعالج بها التيارات الادبية في عصرنا الحاضر ،ويحدد اتجاهاتها، وما تعكس على المجتمع العربي من أثر ،ثم يعين الغاية من وقف الاديب نفسه على الادب ، وماهية رسالة الاديب في الحياة ، وكيفية التصريف في اللغة ،فيأخذ على المستشرقين الذين يشوهون جمال اللغة العربيـــة بسؤ التصريف ،والمصطلحات ،حتى جوزوا لانفسهم استعمال (التبرجج) نسبة للبرج العالي ،و (التأرض) و (التأقلم) لمن يستوطن الارض والاقليم ،كما يفعل ذلك البعض ،ومنهم كمال يوسف الحاج ،ويأخذكذلك في هذا الفصل من كتابه على الذين يكتبون كلاما غير مفهوم ،ويسمونـه أدبا ،ويحسن المؤلف كثيرا اذ يعزو نمو الادب وازدهاره ،واداء رسالتـه الكاملة الى الحرية الكاملة ،ويعتبر الحرية ركنا أساسيا لانبعاث الادب الصحيح، وهناك عرض لامنياته، وافكاره، يراها القارىء في القسم المعنون « بعالم الاحلام » ،من هذا الفصل.

وتتجلى موهبة هذا الاديب في الفصل الثاني وهو يعرض تراجم عدد من كبار الشعراء ، والادباء، واللغويين ، كحسان بن ثابت، والعباس بن الاحنف ،والشريف الرضي ،وابن سيده ،وصفي الدين الحلي ،وغيرهم، وهو يتفق في رأيه مع الاستاذ احمد اللواساني في تفنيد ما نسب لحسان بن ثابت من جبن أقعده عن المشاركة في غزوات النبي دون الالتفات الى العلة التي تجاهلها بعض المؤرخين عن عمد ،ويفاضل بين الشريف الرضي والمرتضى ،ويورد من الامثلة التي تميز كل شاعر في اتجاهاته ،ونزعاتـه، وصفاته الخاصة ،ومبلغ نفوذ شعره في جوهر البلاغة ،واعماق الفكرة.

كما يعرض في هذا الفصل لعدد من الشعراء والادبـــاء المتاخرين، مثل الصافي النجفي ، وطه حسين ، وحافظ ابراهيم ، ولا ينسى المؤلف ان يقدم لنا في هذا الجانب من هذا الفصل ذكرياته عن المرحوم فهــد العسكر ، وفهد العسكر هذا شاعر كويتي ، كان في طليعة شعراء الكويت المجودين ،وقد سبق للاستاذ عبد الله زكريا الانصاري ان احيا ذكر هذا الشاعر المغمور فكان له السبق في هذا الفصل الذي اشار اليه البصير نفسه.

واهمية هذا الفصل ـ الفصل الثاني ـ من الكتاب لا تنحصــر بالاشخاص الذين كتب عنهم المؤلف هذا الفصل ،وكشف عن رأيه في كل واحد منهم ،وانما هناك امران يثيران الدهشة بكل معناها في نفس القارىء المدرك ،فالاول منهما يخص ذهن المؤلف الذي يستوعب كل هذه الشواهد التي يأتي بها امثلة للشعر ، او نصوصا من الوقائع ، سواء كانت هذه الشواهد والنصوص منقولة من صفحات الذهن رأسا كما هو الحال في بعضها ،او منقولة من صفحات الكتب ،فهو ـ أي المؤلف ـ الذي يدل الذين يستعين بهم في الكتابة عند التاليف على المواطن التي تضم تلك النصوص المطلوبة ،ليستخرجوها له !! وهذا شيء غير قليل ان يعرف اديب كالبصير المصدر المطلوب ،ويعرف اين يقع منه الشاهد لينقلوه له.

والامر الثاني هو الايجاز، والايجاز من اهم انواع البديع، او قل من اهم ملكات الادب ،ومواهبه ،ان يحسن الاديب وضع الشيء في موضعه دون زيادة او نقصان ، حتى لتنطبق كلمة: ما قل ودل على كل ما عرضه المؤلف من التراجم كل الانطباق ،وهي مزية يغبط عليها هذا المؤلف.

اما عرضه للصافي النجفي فاحسب ان النسيان قد طغى على ذهن المؤلف ،فاورد حكاية الصافي على غير ما اعرف انا ،واما ما يتعلق بترجمة شميم الحلي فانا اخالفه في ان يكون الغرور هو السبب فيما كان يبدو من شميم الحلي من الادعاء ،والمكابرة ،والحركات النابية ،لان الواقف على سيرة شميم الحلي ،لايمكن ان يعزو تلك الحالة الى غير الجنون وضروبه.

ومن هذه التراجم التي ساقها البصير ،بل من كل ما كتبه ،وخطب به ،يخلص القارىء ،والسامع ،الى انه امام رجل يتمتع بالشيء الكثير من مزايا الانسانية ومن دماثة الخلق ،وطيب السريرة وكرم النفس ،وهو بعد ذلك ،عف اللسان لا يذكر احدا بسوء ،ولا يعرف الهجاء طريقا الى قلمه ،ولسانه ،ومن هذه المزايا استنكاره للتخضع ،والتذلل ،فهو بعد ان اثنى في ترجمته على ابن سيده الثناء العاطر كعالم ولغوي قال :

« لكن امرا واحدا كنت احب ان يبتعد عنه هذا العالم العظيم ،الا وهو التخضع ،وكثرة الثناء على اقبال الدولة فهو ـ اي ابن سيده ـ يقول في حق اقبال الدولة :

الا هل الى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فان الامن في ذاك واليمنا »

وفي استعراضه لمحمد بن كناسة يقول البصير :

« لم اكد القى هذا الشاعر حتى احببته ،واكبرته ،اما سبب هذا الحب والاكبار ،فانه يرجع الى عاملين : احدهما اباء طبعه ،وتقديره لموهبته الشعرية ،الامر الذي جعله يأنف ان يسخر ذلك لمدح السلطان ، او ذوي المال ،مع شدة حاجته واملاقه.

وما السبب الثاني الذي جعلني احب هذا الشاعر واكبره ،فهو صفاء نفسه ، وحلاوة شعره ، وهذا يتجلى في قوله :

في انقباض وحشمة فاذا صادفت اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

وتعرف جانب الانسانية في البصير من عتبه على العباس بن الاحنف حين يقول للبصير :

« ولقد وجدت نفسي راضية عنه ـ اي عن العباس ـ في بعض الجوانب ،عاتبة عليه في جوانب اخرى ،فاما عتبي عليه فلانه لم يرث احدا من احبابه ،او يمدح احدا من اصدقائه ،وهذا خلق لا استطيع ان افهمه » .

وكان الزجاج يعلم تلميذه القاسم بن عبيد الله بن سليمان ،وقد اشترط الزجاج عليه ان هو بلغ الوزارة ذات يوم ان يعطيه عشرين الف دينار ،وكان ان بلغ القاسم الوزارة ،ففوض للزجاج التوسط لقضاء حاجات الناس عنده بثمن يتقاضاه من اصحاب الحاجة الى ان يستوفي طلبه ،وقد استوفاه الزجاج ،وظل يتقاضى المزيد من الناس برضى من الوزير ،فيعلق البصير على ذلك ويقول :

« وهذا يدل على فساد شديد في حكم ذلك العهد ،واي فساد ابلغ من هذا الفساد الذي يسمح لوزير ان يتفق مع عالم له مكانته على ان يقضي حوائج الناس باجرة معينة » .

وغير هذا الكثير الذي يستنبط منه القارىء اخلاق البصير وسريرته بالاضافة الى ما يعرف عنه العارف عن كثب من طيب المعشر ،والجب عن ذكر احد بالسوء ،وصدق اللهجة ،واحترام نفسه ،فهو بحق صورة من اروع صور الانسانية بين ادبائنا اللامعين.

وفي الفصل الثالث ،يتناول المؤلف النظر في الكتب المهداة له ، والكتب التي تم له ان يقرأها ،ويمر فيما يمر بالمقارنة بين المتنبي والجواهري ،من حيث المزاج الذي يحملهما على مدح الممدوح ثم لا يلبثان ان يهجواه ، كما يمر بعدد كبير من الكتب ، منها « الخالدون العرب » لقدري طوقان ،و « دراسات في اللغة » للدكتور ابراهيم السامرائي ، و« البلاغة عند السكاكي » للدكتور احمد مطلوب ، فيعرضها عرضا رقيقا جميلا ويشير الى المواطن التي تستلفت الانظار منها.

والكتاب هذا ممتع كل الامتاع ،ومفيد كل الافادة ،فهو الجامع المانع ،على حد تعبير المعبرين ،الذي يستحق المؤلف عليه التهنئة والشكر الوافر.

بغداد **جعفر الخليلي**

•

المسرح السياسي في لبنان (١٩٦٨ ـ ١٩٧٣)

تاليف غسان سلامة ـ بالفرنسية ـ تقديم ميشال كورفي مدير مدرسة الاداب العليا في بيروت ـ ٢١٩ صفحة ـ دار المشرق بيروت ١٩٧٤

يدور هذا الكتاب على المسرح السياسي في لبنان في السنوات الست الاخيرة ،وعلى النشاطات المسرحية الفنية التي تقوم بها بعض الفرق والمسارح اللبنانية الحديثة ،كالمسرح التجريبي والمسرح العصري والمسرح الوطني ، والفرقة الشعبية اللبنانية ، كما يستعرض في دراسة تحليلية مركزة نتائج هذا المسرح في مفهومه الحديث كما وضع اسسه ومنهجيته منير الدبس والاخوان الرحباني وبعض المؤلفين المسرحيين اللبنانيين وانطوان ملتقى ،كما ان حركة بعث جديدة قامت على يد المؤلفين المسرحيين والمخرجين اللبنانيين بشخص جورج شحاده وعصام محفوظ ويوسف غصوب وانطوان معلوف وجلال خوري وغيرهم .

والكتاب من تاليف غسان سلامة وهو شاب ثقيف من مواليد قرية كفرذبيان (١٩٣١) يحمل اجازة في الحقوق واجازة في الادب من مدرسة الاداب العليا .وقد عمل مدة في الصحافة وفي الحركة الاجتماعية التي قام بها المطران غريغوريوس حداد ـ وحرر في مجلة « آفاق » التي تصدر في بيروت.

ويتابع الاستاذ سلامة دراسته العليا في باريس لنيل شهادة دكتوراه دولة من جامعة السوربون.

يوسف اسعد داغر